أصول التفسير

في

السنة النبوية

دراسة انتقائية تحليلية استنباطية.

دكتور

عماد محمود محمود عبد الكريم

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد / جامعة الأزهر /

كلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان

أصول التفسير في السنة النبوية، دراسة تحليلية استنباطية

عماد محمود محمود عبد الكريم.

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان، جامعة الأزهر، مصر. البريد الإلكتروني: ekarim1972@gmail.com

الملخص: تكوّن هذا البحث من: مقدمة، واثنين وعشرين بابًا وهي: التحذير من المفسرين بالرأي المذموم. التحذير من الأقوال الشاذة. جواز التفسير بالرأي المحمود. التحذير من المصطلحات، والمناهج الدخيلة، تفسير القرآن بالقرآن. التفسير بالسياق. التفسير الموضوعي لآيات الأحكام. دليل أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. مراعاة ترتيب ألفاظ القرآن عند استنباط المعاني والأحكام. مشروعية البحث عن المناسبات بين الآيات. تقسيم المفسر السورة إلى مقاطع موضوعية والربط بينها، مشروعية بحث المفسر عن المناسبات الخاصة بين السور المتجاورة. مشروعية البحث عن التناسب العام بين سورة مفردة، وباقي سور القرآن الكريم. استنباط وجه اعتبار أقوال الصحابة مصدرًا في التفسير. دليل أن أقوال الصحابةﷺ فيما لا مجال للرأي فيه له حكم المرفوع. التحذير من الاعتماد على ترجمات أهل الكتاب للتوراة والإنجيل. من منهج النبي ﷺ في تفسير القصص القرآني. جواز إقامة المفسر

الحجة على اليهود، والنصارى بما يعتقدون صحته من كتبهم. دلالة الألفاظ المشتركة. ما جاء في القرآن الكريم من أمور الآخرة يُحمل على حقيقته. المجاز من أساليب لغة العرب. جواز ترجمة تفسير القرآن لِلُّغات الأخرى.

المنهج: المنهج التكاملي، (التتبع والجمع، التخريج والانتقاء، التحليل والاستنباط).

النتائج: من وظائف النبوة بيان القرآن الكريم﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤]؛ وفي ميراث النبوة أصول لهذا البيان، يَبني عليها المفسرون بيانهم، واستنباطهم من القرآن الكريم في مختلف العصور.

التوصيات: الاهتمام بالتأصيل لمسائل علم أصول التفسير، من السنة المطهرة.

الكلمات المفتاحية: أصول، التفسير، السنة.

The origins of interpretation in the Prophet's Year, an .inferratory analytical study

Imad Mahmoud Mahmoud Abdul Karim .

Department of Interpretation and Qur'anic Sciences, Al-Azhar Girls College, ١٠th of Ramadan, Al-Azhar University, Egypt.

E-mail: ekarim١٩٧٢@gmail.com

Abstract:

This research is made up of: introduction, eighteen juan: warning of the interpreters of the reprehensible opinion. Warning of anomalous statements. It is permissible to interpret with a laudable opinion. Warning of extraneous terms and approaches, the interpretation of the Qur'an by the Qur'an. Interpretation by context. Objective interpretation of the verses of the provisions. Proof that the lesson is generally not about the reason. Take into account the order of the words of the Qur'an when deriving meanings and judgments. The legitimacy of searching for events between verses. Dividing the interpreter into objective passages and linking them, the legitimacy of the interpreter's search for special occasions between the adjacent wall. The legitimacy of the search for the general proportionality between a single surah, and the rest of the Qur'an wall. To devise the point of view of the statements of the Sahaba as a source of interpretation. Proof that the statements of the Sahaba in what there is no room for opinion have the ruling of the raised. Warning against relying on translations of the Torah and the Gospel by the people of the Book. From the Prophet's approach to interpreting Qur'anic stories. The interpreter may make the

argument to the Jews and Christians with what they believe is true from their books.

Curriculum: Integrative approach (tracking and collection, graduation and selection, analysis and inference).

Results: If God, Almighty, made the functions of prophecy the statement of the Holy Quran, the Almighty said: "And we have brought down to you the male to show people what has come down to them and perhaps they will think (٤٤)} [Bees: ٤٤], there is no doubt that in the inheritance of prophecy we will find the origins of this statement, on which the interpreters build their statement, and draw them from the Qur'an in various ages, and this research was founded to reveal this fact.

Recommendations: Attention to rooting issues of the science of the origins of interpretation, from the year of purification and making them the starting point for scholars of this science, and allocating university messages; to devise more issues and minutes of the science of the origins of interpretation from the disinfectant year.

Keywords: Origins, interpretation, method.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، أحمده سبحانه، وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعدُ: فَإِنَّ لكلِ علمٍ نشأتهُ الأُولى، التي تُمثل أهمَّ مراحلهِ؛ إِذْ كل ما يأتي بعدها، إنما هو نابع منها، موصولٌ إليها بسببٍ من الأسباب، وتبلغُ دراسةُ (النشأةِ الأولى للعلمِ) أهميتها القصوى؛ عندما يتعلق ذلك العلم بالوحي الإلهي؛ فكلما اقتربنا من زمن الوحي؛ كلما كانت النتائج أوثق، والفوائد أعم، والحق أبلج؛ فهو بمنزلة الذهاب إلى نبع صافٍ لم تُكدره الدلاءُ. وموضوع البحث –الذي تُسطر هذه الكلمات في مقدمته– من ذلك الطراز؛ فهو يبحث علم (أصول تفسير القرآن الكريم) في نشأته الأولى، منقبًا عن مسائله في (أحاديث النبي الكريم ﷺ) مستنبطاً قواعدها، ودقائقها، ولطائفها محللاً لنصوصها، وإذا كان الله – سبحانه وتعالى– جعل من وظائف النبوة بيان القرآن الكريم﴿ ... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤]؛ فلا شكَ أننا سنجد في السنة الشريفة، أصولًا لهذا البيان، يَبني عليها المفسرون تفسيرهم،

واستنباطهم من القرآن الكريم في مختلف العصور، وقد تأسس هذا البحث للكشف عن هذه الحقيقة، ومن الله –سبحانه وتعالى– العون والتوفيق.

أضواء على مصطلحات العنوان:

أصول التفسير: **الأصول**: جمع أصل، وهو في اللغة: عبارة عما يُفتقر إليه، ولا يَفتقر هو إلى غيره. وفي الشرع عبارة عما يُبنى عليه غيره، ولا يُبنى هو على غيره [1].

التفسير: في الأصل هو الكشف، والإظهار، وفي الشرع: توضيح معنى الآية، وشأنها، وقصتها، والسبب الذي نزلت فيه، بلفظ يدل عليه دلالةً ظاهرة [2]. أو هو:" اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن، وما يستفاد منها، باختصار أو توسع"[3].

أصول التفسير: من خلال تعريف المضاف (أصول) والمضاف إليه (التفسير) يمكن تعريف المركب الإضافي (أصول التفسير) بأنه: مجموعة الضوابط الكلية التي يُبنى على أساسها عمل المفسر بيانًا، أو استنباطًا.

---

[1] انظر التعريفات (ص: ٢٨). علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) تح: جماعة من العلماء. دار الكتب العلمية بيروت –لبنان. الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

[2] انظر السابق (ص: ٦٣).

[3] تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (١/ ١١). محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ). الدار التونسية – تونس. ١٩٨٤ هـ.

السنة النبوية: السنة: لغةً: العادة، وشريعةً: ما صدر عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير [١].

دراسة: "أصل الدراسة الرياضة، والتعهد للشيء، ثم قيل درستُ القرآن إذا قرأته وتعهدته لتحفظه". [٢] والمقصود بها هنا تعهد موضوع البحث بمنهج معين للوصول إلى نتائج.

انتقائية: هذا قيد يُبين حدود الدراسة؛ فهي ليست دراسة استقرائية لكل كتب السنة المطهرة، وإنما قام البحث على أحاديث انتقاها الباحث من مظانها في كتب السنة بناء على خبرة سابقة في التخصص، ثم لائم بينها بما يحقق أهداف البحث.

تحليلية: التحليل يُطلق ويُراد به: "ضد التحريم، ويُطلق على التحليل من اليمين، ويُطلق، ويُراد به رد الشيء إلى عناصره" [٣].

---

[١] انظر التعريفات (ص: ١٢٢) مرجع سابق. وللسنة تعريف عند الفقهاء ليس هو المراد هنا.

[٢] غريب الحديث للخطابي (١/ ٥٨٣). المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨ هـ) المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي. خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي الناشر: دار الفكر – دمشق عام النشر: ١٤٠٢ هـ -١٩٨٢ م.

[٣] انظر معجم اللغة العربية المعاصرة ٥٥٠/١. د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ -٢٠٠٨ م.

التحليل في البحث العلمي: "عمليةٌ بحثيةٌ تهدفُ لتفسيرِ الظاهرةِ المدروسةِ بعد جمعِ المادةِ البحثيةِ؛ فتعملُ على تجزئةِ الظاهرةِ محلِ البحثِ؛ لاستكشافِ نتائجَ لا تظهر بالنظرة الإجمالية، وهي المقابلة للنظرة التحليلية"[1].

الاستنباط: في اللغة: "استخراجُ الماءِ من العين من قولهم نبطَ الماءُ إذا خرج من منبعه. وفي الاصطلاح: استخراجُ المعاني من النصوص بفرطِ[2] الذهن وقوة القريحة". [3]

دراسة استنباطية: يمكن تعريف (الدراسة الاستنباطية) بأنها التي تسلك المنهج الاستنباطي وهو: بذل الجهد العقلي، والنفسي المكثف في دراسة النص بهدف الوصول إلى استنباط نتائج في أصول التفسير قائمة على أدلة واضحة، أوقرائن داعمة. **فالمنهج الاستنباطي هو**: "الذي يربط العقل فيه بين المقدمات والنتائج أو بين الأشياء وعللها، على أساس

---

[1] ينظر: البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، رجاء وحيد دويدري، دار الفكر المعاصر–بيروت–لبنان ط: الأول ى١٤٢١–٢٠٠٠.

[2] الفرط والفارط: من معانيه "المتقدم في طلب الماء" ولعل مقصود صاحب التعريفات هو تقدم الذهن وسبقه. انظر: مقاييس اللغة (٤/ ٤٩٠). أحمد بن فارس القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ) تح: عبد السلام هارون. دار الفكر. ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

[3] انظر التعريفات (ص: ٢٢). مرجع سابق.

المنطق والتأمل الذهني، فهو يبدأ بالكليات ليصل منها إلى الجزئيات"[1].

أهمية البحث: يَستمد موضوع البحث أهميته، من أهمية علم أصول التفسير، الذي يستمد بدوره أهميته؛ مِنْ كَوْنِهِ يُمثل مجموعة الكليات الضابطة لأشرفِ العلوم "علم تفسير القرآن الكريم".

وأهمية أخرى خاصة؛ وهي أن هذا البحث، موضوعه استنباط مسائل أصول التفسير، من السنة النبوية، التي تمثل المصدر الثاني للتشريع.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة سابقة بهذا العنوان، وإن كانت كتب علوم القرآن الكريم، والتفسير، وأصوله ترد فيها أحاديث متناثرة، استشهادًا بها على بعض قضايا أصول التفسير، أو استنباطًا منها. ولعل من مميزات هذا البحث؛ أنه جعل من السنة أصلاً ينطلق منه، إضافة إلى ميزة الجمع في محل واحد. ثم التحليل والاستنباط؛ فأرجو من الله –سبحانه وتعالى–أن يُحالفه التوفيق؛ فيتحقق فيه بعض أقسام التأليف المعتبرة، التي صيغت في هذه العبارة الجامعة: " لا يُؤلف أحدٌ كتابًا إلا في أحد أقسام سبعة، ولا يُمكن التأليف في غيرها، وهي: إما أن يُؤلف من شيء لم يُسبق إليه

---

[1] انظر: البحث العلمي مناهجه وتقنياته: د. محمَّد زيان عمر، ص ٣٢، ط، جدة بالسعودية، ١٣٩٤هـ.

يخترعه، أو شيء ناقص يتممه، أو شيء مستغلق يشرحه، أو طويل يختصره، دون أن يُخل بشيء في معانيه، أو شيء مختلط يُرتبه، أو شيء أخطأ فيه مصنفه يُبينه، أو شيء مُفرق يَجمعه "[1].

أغراض البحث:

هذه الدراسة -بفضله تعالى وتوفيقه -تُسهم في إثراء ثلاثة من أهم أغراض البحث في علم أصول التفسير:

أولها: تاريخه ونشأته. ثانيها: تأسيسه وبناءه. ثالثها: مسائله وقواعده.

أسئلة البحث:

يجتهدُ البحثُ أثناءَ السعي في دروب تلك الأغراض الإجابةَ عن أسئلةٍ أهمها:

١. هل يُوجد في الأحاديث النبوية الشريفة ما يُؤسس لعلم أصول التفسير؟

---

[1] انظر رسائل ابن حزم الأندلسي رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها. ١٨٦/٢ تح: إحسان عباس. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٢. إذا كانت إجابة السؤال السابق بنعم؛ فهل يمكن استنباط تلك الأصول؟

٣. وإذا كانت إجابة السؤال الثاني بنعم –أيضًا–فهل يمكن تطبيق ذلك، وتقديمه في صورة خالية من التكلف، وفق قواعد الاستنباط، وطرقه الصحيحة؟

و لعل البحث –من خلال الإجابة عن هذه الأسئلة–يُسهم في كشف زيوف ما يُسمى بالقراءة المعاصرة للقرآن الكريم[١]، التي تُحاول أن تجعل خليطاً من المصطلحات، والمناهج المستوردة من الغرب، أصولًا لتفسير القرآن الكريم؛ فها هي أصولُ التفسيرِ واردة في الحديث النبوي الشريف المعصوم:﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾[النجم: ٣، ٤]. قال ابن الوزير (ت: ٨٤٠هـ)[٢] –رحمه الله–عن القرآن الكريم: "...لو

---

[١] يقصد بالقراءة المعاصرة التوسع في استخدام المناهج الغربية وتنزيلها كيفما اتفق على نظم القرآن، ومعاملته كما تعامل النصوص البشرية دون النظر إلى خصائصه المقررة مثل الربانية، والحفظ والتيسير للذكر وغيرها، ودون الالتفات إلى مناهج علماء الإسلام في فهم النصوص، والاستدلال بها. يراجع في ذلك كتاب " النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر" قطب الريسوني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المملكة المغربية. ط. الأولى ١٤٣١-٢٠٢٠.

[٢] "ابن الوَزِير (٧٥٨ -٨٢٢ هـ = ١٣٥٧ -١٤١٩ م) الهادي بن إبراهيم بن علي بن المرتضى الحسني، جمال الدين ابن الوزير: باحث، من علماء الزيدية باليمن. ولد في هجرة الظهر، من شظب. وأقام بصنعاء. ورحل إلى صعدة ومكة. ومات بذمار". الأعلام للزركلي (٨/ ٥٨). خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن

كان لكل مبتدعٍ أنْ يحملُه على ما يُوافق هواه؛ بَطُلَ كونه فرقاً بين الحق والباطل، وقد ثبت أنه يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق؛ وهذا لا يتم إلا بحراسته من دعاوى المبطلين في تصرفاتهم، واحتيالهم على التشويش فيه، ولبس صوادعه وقواطعه بخوافيه"[1]

قلت:

وبيان أصول التفسير المستنبطة من السنة المطهرة هي من أقوى الدروع التي تحرس التفسير من هجمات أولئك المبطلين.

منهج البحث:

المنهج العلمي هو" الطريق المُؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تُهيمن على سير العقل وتُحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة"[٢].

فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ). دار العلم للملايين.ط: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

[1] إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد (ص١٤٦) ابن الوزير. عز الدين اليمني (ت ٨٤٠هـ) دار الكتب العلمية – بيروت الثانية، ١٩٨٧م

[٢] أصول البحث العلمي ومناهجه للدكتور أحمد بدر ص ٢٥٠ – وكالة المطبوعات الكويتية، ط ٧–١٩٨٤م، توزيع دار القلم بيروت، نقلاً عن (التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد) للدكتور عبد الغفور مصطفى. ص ٣٤٠. دار السلام ط. الأولى، ١٤٢٨هـ –٢٠٠٧م.

وقد اقتضى التنقيب عن إجابات أسئلة البحث السابقة، السير وفق المنهج التكاملي، بدأً بالتتبع، والجمع، ثم التخريج، ثم التحليل، والاستنباط.

أما الجمع: فقد توخيت فيه الصحة، أو الحسن؛ فلم أورد حديثًا ضعيفًا؛ فضلًا عن أن يكون موضوعًا.

وأما التخريج: فإذا كان الحديث في الصحيحين، أو أحدهما اكتفيت بهما أو أحدهما، وإذا كان في غيرهما ذكرت من كلام العلماء ما يُبين درجته.

وأما التحليل والاستنباط: فقد اجتهدت أن يكون صحيحًا، خاليًا من التكلف والغموض، مدعومًا بأدلة وقرائن منطقية، أو لغوية، أو نقلية[1].

خطة البحث: أما خطة البحث فكان لها طابعها الخاص، الذي يتوافق مع مادة البحث الرئيسة، وهي الأحاديث النبوية الشريفة؛ إذ **انتهجتُ المنهج الأشهر[2] لعلماء السنة المطهرة في تقسيم الأحاديث إلى أبواب، والترجمة لكل باب بأهم مسائل أصول التفسير المستنبطة فيه**. ولم أكتف بما أشارت إليه ترجمة الباب، فلم أدخر جهدًا في أن أضم

---

(1) سبق الحديث عن معنى التحليل، والاستنباط في بيان مصطلحات العنوان.

(2) لعلماء السنة المطهرة منهج آخر في الترتيب، وهو ذكر أحاديث كل صحابي مجتمعة في موضع واحد، وهذا المنهج هو الذي جرت عليه كتب المسانيد، وأشهرها، وأوسعها مسند الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله تعالى-.

إليها كل ما أمكن استنباطه من قضايا أصول التفسير في الحديث محل الدراسة.

وقد سارت تلك الخطة على النحو التالي:

أولاً: مقدمة واشتملت على: أضواء على مصطلحات العنوان، والدراسات السابقة، وأغراض البحث، وأسئلته، ومنهجه، وخطته.

ثانياً: أبواب الأحاديث، واشتملت على اثنين وعشرين باباً:

الأول: هدي النبي ﷺ في التحذير من المفسرين بالرأي المذموم.

الثاني: هدي النبي ﷺ في التحذير من الأقوال الشاذة في تأويل القرآن الكريم التي توقع الفتن.

الثالث: جواز التفسير بالرأي المحمود، والترغيب في الترقي في فهم القرآن الكريم.

الرابع: التحذير من استخدام المصطلحات، والمناهج الدخيلة (مثل تلك التي صاغها المستشرقون، والعلمانيون، والحداثيون) في تفسير القرآن الكريم.

الخامس: الهدي النبوي في تفسير القرآن بالقرآن.

السادس: هدى النبي ﷺ في التفسير بالسياق.

السابع: هدي النبي ﷺ في التفسير الموضوعي لآيات الأحكام.

الثامن: هدي النبي ﷺ في أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

التاسع: هدي النبي ﷺ في مراعاة ترتيب ألفاظ القرآن الكريم عند استنباط المعاني والأحكام.

العاشر: مشروعية البحث عن المناسبات بين الآيات، وتقسيم المفسر السورة القرآنية إلى مقاطع موضوعية، والربط بينها.

الحادي عشر: مشروعية بحث المفسر عن المناسبات الخاصة بين السور المتجاورة.

الثاني عشر: مشروعية البحث عن التناسب العام بين سورة مفردة، وبين باقي سور القرآن الكريم، وهو ما يمكن تسميته بموقع السورة من النظام المجموعي لسور القرآن الكريم.

الثالث عشر: استنباط وجه اعتبار أقوال الصحابة ﷺ مصدرًا في التفسير.

الرابع عشر: دليل أن أقوال الصحابة ﷺ فيما لا مجال للرأي فيه له حكم المرفوع.

الخامس عشر: هدي النبي ﷺ في التحذير من الاعتماد على ترجمات أهل الكتاب للتوراة والإنجيل.

السادس عشر: جواز إقامة المفسر الحجة على اليهود، والنصارى بما يعتقدون صحته من كتبهم.

السابع عشر: من منهج النبي ﷺ في تفسير القصص القرآني.

الثامن عشر: أن العلم بتاريخ الرسل-عليهم السلام-وأقوامهم من واجبات المفسر.

التاسع عشر: أن المجاز من أساليب اللغة العربية تكلم به النبي ﷺ وورد في القرآن الكريم.

العشرون: أن ما جاء في القرآن الكريم من أمور الآخرة الأصل فيه الحمل على الحقيقة.

الحادي والعشرون: في فهم دلالات الألفاظ المشتركة.

الثاني والعشرون: جواز ترجمة تفسير القرآن لِلُّغات الأخرى.

الخاتمة والنتائج. أهم المراجع والمصادر. فهرس المحتويات.

وبعد: فما كان في هذا البحث من صواب فالفضل، والمنة لله وحده، وما كان من خطأ فمن سهوي وضعفي، وأستغفر الله وأتوب إليه، والشكر والتقدير لكل ناصح مُعلم. اللهم اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب. والله من وراء القصد وهو حسبي ونعم الوكيل، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

(١) باب: هدي النبي ﷺ في التحذير من المفسرين بالرأي المذموم[١].

"عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – أن النبي ﷺ تلا هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[آل عمران: ٧]" [٢].

---

[١] التفسير بالرأي المذموم هو: "الذي لا يُوافق الأدلة الشرعية، ولا قواعد اللغة العربية، أو اختل به شرط من شرائط التفسير. انظر تفصيل ذلك في مناهل العرفان في علوم القرآن" (٢/ ٥٠) محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: ١٣٦٧هـ) مطبعة عيسى البابي الحلبي. ط. الثالثة.

[٢] قال الإمام الطبري بيان معنى الآية الكريمة:" إن الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، هو الذي أنزل عليك يا رسول الله القرآن، منه آيات محكمات بالبيان، هنّ أصل الكتاب الذي عليه عمادك وعماد أمتك في الدين، وإليه مفزعك ومفزعهم فيما افترضت عليك وعليهم من شرائع الإسلام، وآيات أخر هنّ متشابهات في التلاوة، مختلفات في المعاني". ينظر جامع البيان في تأويل القرآن (٦/ ١٨٣) أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) تح: أحمد شاكر. مؤسسة الرسالة. الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

قالت: قال رسول الله ﷺ: "فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمّى الله فاحذروهم" [1].

بعض هدايات أصول التفسير المستنبطة من هذا الحديث الشريف:

أولًا: دلت الآية الكريمة على أن المتشابه لا يُفهم بعيداً عن المحكم، يُستفاد هذا من ذم اتباع المتشابه منفرداً، وتعليل ذلك بزيغ القلب.

ثانياً: من تعليل اتباع المتشابه بزيغ القلب؛ يُستنبط أن من شروط المفسر؛ أن يسلم قلبه من الزيغ، الذي هو: " ميل عن الحق وانحرافٌ عنه "[2]. ويلزم عنه أن تعلم فقه القلوب، ومعرفة أمراضها وطرق علاجها، والسعي لتزكية النفس، ومراقبة القلب من الأمور الواجبة على المفسرين.

ثالثاً: حددت الآية سبب هام من أسباب نشأة الدخيل في التفسير؛ هو زيغ القلب. وامتثال أمر النبي ﷺ «فاحذروهم» متوقف على دراسة كلام زائغي القلوب متبعي المتشابه، وبيان وجه الخطأ فيه، وجاء في بعض

---

[1] أخرجه البخاري في ك: التفسير، ب: ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ (٦/ ٣٤) حديث رقم: ٤٥٤٧. دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي). الأولى، ١٤٢٢هـ.

[2] جامع البيان (٦/ ١٨٣). مرجع سابق.

الرويات: "قد حذركم الله، فإذا رأيتموهم فاعرفوهم"[1]. فبيان الدخيل في التفسير، والتحذير من صرف الناس عن المعاني الأصيلة، إلى المعاني الدخيلة، التي صاغتها قلوب زائغة مُنْحرفة، من الواجبات على أهل الذكر.

رابعاً: لما كان الكفر بالإسلام، وكتابه، ونبيه ﷺ، هو أشد أمراض القلوب، بل منبعها جميعًا، فهو زيغ تام للقلوب عن الحق؛ فإن ما كتبه ويكتبه المستشرقون[2] عن القرآن الكريم من ترجمات، أو دراسات، وما

---

(1) روى ابن جرير الطبري هذه الرواية عن عائشة –رضي الله عنها –، وقال الشيخ أحمد شاكر عنها "وهذا إسناد صحيح" (٦/ ١٩٣). جامع البيان (٦/ ١٩٣) مرجع سابق.

(2) " الاستشراق Orientalism تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل من يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم. ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته. ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما". الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٦٨٧). الندوة العالمية للشباب الإسلامي إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني. دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع. الرابعة، ١٤٢٠ هـ.

وقد دخل غالب المستشرقين إلى المعجم العربي مثقلين بما تعلموه من عبرية التوراة، فيفسرون العربي بالعبري على قدر محفوظاتهم من العبرية التي انقرضت أو غابت أصول جذورها تحت ركام من تفاسير تم وضعها بعد ألف سنة من عصر موسى عليه السلام فيها الخطأ والصواب. وفي وهمهم أن العبرية أقدم وجودًا من العربية لمجرد أن التوراة أقدم في النزول من القرآن. وقد سكنت إليه نفوسهم ولغوا فيه؛ لأنه يفيدهم في دعوى

يصوغونه من المصطلحات، ينبغي التعامل معه وفق الأمر النبوي: " أولئك الذين سمّى الله فاحذروهم " لا أن تُؤخذ مأخذ التسليم بصحتها، ووضعها موضع التبجيل والاتباع.

خامساً: **مفهوم المخالفة لقول النبي ﷺ: " فاحذروهم " يدل على أن تفسير القرآن يتلقى من الراسخين في العلم الذين يعلمون محكم القرآن، ويؤمنون بمتشابهه ويردونه إلى المحكم، وهو يبين وجه الحاجة إلى مفسر تجتمع فيه سلامة القلب، ورسوخ العلم في كل زمان، والراسخون في العلم عرفهم شيخ المفسرين الطبري(ت:٣١٠هـ) بأنهم " العلماء الذين قد أتقنوا علمهم، ووَعَوْه؛ فحفظوه حفظًا لا يدخلهم في معرفتهم، وعلمهم بما علموه، شَكٌّ ولا لبسٌ. وأصل ذلك من: (رسوخ الشيء في الشيء)، وهو ثبوته**

أن القرآن استنسخ من التوراة، وهي دعوى لا يقول بها إلا عابث لا يعبأ بحقائق العلم، جاهل بالقرآن وبالتوراة.

وقد تضافرت الآن علوم اللغات، والتاريخ، والآثار على أن اللغة العربية هي أم اللغات الساميات جميعًا، إليها يُرد علم ما انقرض منها، ومنها يؤخذ تفسير ما خفي منها، أو فقد جذره وقد انتهى عصر كان يُنظر فيه إلى أولئك المستشرقين نظرة تهيب وإكبار، يؤخذ عنهم دون نقد أو تمحيص، الغث من السمين في كلامهم. نقول هذا دون أن نقلل من جهدهم الضخم، وكان أولى بنا القيام به نحن. انظر العلم الأعجمي في القرآن للأستاذ رؤوف أبو سعدة ٢٠٩/١ بتصرف كبير. ط. دار الهلال مصر. بدون تاريخ.

وولوجه فيه "[1]. ومقابلة الراسخين في العلم بالذين في قلوبهم زيغ يهدي إلى أن سلامة القلب من الزيغ من مقتضيات الرسوخ في العلم.

سادساً: أفادت الآيةُ أن الذين في قلوبهم زيغٌ يتبعون المتشابه لتحقيق هدفين خبيثين:

الأول: **ابتغاء الفتنة**[2]. فغرضهم تحويل أثر المعاني القرآنية في النفوس والمجتمعات إلى عكس ما ترمي إليه؛ فإذا كانت معاني القرآن الكريم تُخرج الناس من ظلمات الفتن إلى نور الحق، فإنهم بسبب زيغ قلوبهم يفتشون في معاني المتشابه عما يوقع الفتنة في القلوب والمجتمعات. **ويُؤخذ من ذلك** أن وأد تلك الفتن، والتحذير منها من واجبات المفسر الراسخ، كما أن من واجباته بيان المعاني القرآنية الحقة التي تهدي الناس، وتخرجهم من الحيرة والشك إلى الإيمان، واليقين؛ فالمفسر الراسخ؛ هو داعية مصلح بالضرورة.

الثاني: **ابتغاء تأويله**. والمراد به هنا، قيام زائغي القلوب ببيان عواقب القرآن الكريم، التي حجبها الله عن البشر، واستأثر بعلمها؛ فهي من الغيب التام، مثل موعد يوم القيامة، وهذا التفسير على كون الوقف تام على قوله

---

[1] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٦/ ٢٠٦). مرجع سابق.

[2] " (ابتغاء) مفعول لأجله و(الفتنة) مضاف إليه (وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ) عطف على ابتغاء الفتنة " إعراب القرآن وبيانه (١/ ٤٥٨). محيي الدين درويش(ت:١٤٠٣هـ). دار الإرشاد للشئون الجامعية –حمص –سورية، ط: الرابعة، ١٤١٥ هـ.

ﷻ: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾[آل عمران: ٧] و(الواو) في قوله ﷻ : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ [آل عمران: ٧] استئنافية. وأما على كون (الواو) عاطفة، وأن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه؛ فابتغاء تأويل المتشابه كان مذمومًا ممن في قلبه زيغ لسببين:

الأول: أن قلوبهم زائغة عن الحق غير مؤهلة لتأويل كلام الله على وجهه الصحيح، فما أشد بعدهم عن الرسوخ في العلم. ومن اللطائف الجميلة للإمام الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ) في تفسير الآية قوله: " ... تجريد التأويل عن الوصف بالصحة والحقية؛ إيذان بأنهم ليسوا من التأويل في عير ولا نفير، ولا قبيل ولا دبير؛ وأن ما يتبعونه ليس بتأويل أصلاً، لا أنه تأويل غير صحيح، قد يُعذر صاحبه"[(١)].

الثاني: أنهم انتهجوا نهجاً منحرفاً، يؤدي إلى فهم سقيم لا محالة؛ وهو تقسيم القرآن وتجزئته بأخذ بعض منه؛ وهو المتشابه، وترك أكثره؛ وهو المحكم فتحقق فيهم قوله تعالى:﴿ ...كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١) فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٢/ ٨١) شهاب الدين الآلوسي تح: علي عبد الباري عطية: دار الكتب العلمية – بيروت ط: الأولى، ١٤١٥ هـ.

﴿ [الحجر: ٩٠ -٩٤][1]. **فتلاقت فيهم ظلمتان: ظلمة المنهج المنحرف، وظلمة القلب الذي فيه زيغ.**

ويستنبط مما تقدم:

أن المفسرين الراسخين في العلم يجب عليهم الالتزام بأمرين هامين:

الأول: الوقوف أمام مغيبات القرآن الكلية موقف الإيمان بها، فلا يحاولون تأويلها.

الثاني: الرجوع في فهم المتشابه إلى المحكم، واتباع المنهج الكلي الشامل في تفسير القرآن الكريم.

أقسام القرآن باعتبار إمكانية التأويل:

يقسم الإمام ابن جرير الطبري(ت٣١٠) القرآن الكريم من حيث إمكانية تأويله وتفسيره ثلاثة أقسام:

القسم الأول: لا يعلم تأويله إلا الله، مثّل تحديد أوقات، ومقادير، وكيفيات أحداث قادمة ستقع عند قيام الساعة، وهذا هو التأويل العملي،

---

[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما:"﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ [الحجر: ٩١] قال: هم أهل الكتاب جزءوه أجزاء، فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه" صحيح البخاري (٦/ ٨١) ك: تفسير القرآن باب: قوله:﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١] حديث رقم: ٤٧٠٥. مرجع سابق. قلت: والعبرة بعموم اللفظ فمن اتبع المتشابه من القرآن وترك المحكم فقد اقتسم القرآن وجعله عضين.

الذي يلحظ مآل، وعاقبة، ونهاية تلك النصوص، ويُركز على حقيقتها المادية.

القسم الثاني: ما أوله وفسّره النبي ﷺ مثل آيات الأحكام، وما تضمنته من أوامر أو نواه، وشروط مثل: أوقات الصلوات، وأركانها، وسننها. وهذا القسم واجب على المفسر العلم به وعدم مخالفته.

القسم الثالث: هو ما أوكل تأويله لعلماء التأويل، حيث يتدبرونه وفق أصول وقواعد التأويل والتفسير، مثل الإعراب والبلاغة، وشرح المعاني.[1].

الصحابة الكرام ﷺ وبراءة قلوبهم من الزيغ:

قال تعالى:﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة: ١١٧] فهذه الآية الكريمة أفادت أن الأصل في قلوب الصحابة ﷺ أنها لم تزغ، وأن فريقًا منهم قارب ذلك في وقت ما لكنه لم يقع؛ كما يفيده فعل (كاد) والآية تنص على توبة الله عليهم. وتلك تزكية من الله عظيمة لقلوب الصحابة ﷺ والقلوب محل فهم القرآن والتأثر به، مما يشعر باستحقاق تفسيرهم ﷺ تلك المنزلة العالية في علم أصول التفسير.

صفوة القول:

[1]انظر جامع البيان للطبري (١/ ٧٤). مرجع سابق.

١. قلب المفسر له أهمية مركزية في فهم القرآن، وأهل التفسير أحوج الناس إلى قلوب سليمة من الزيغ؛ فالقرآن كما يخاطب العقول، يناجي القلوب؛ وعلى قدر صفائها يتجلى نور القرآن فيها؛ لذلك كان زيغ القلوب من أوسع أبواب الدخيل في التفسير، وإنما يعرف زيغ القلوب باتباع المتشابه، وإهمال المحكم، وتظهر آثار ذلك الزيغ في الأقوال الشاذة في التفسير وما يترتب عليها من الفتن.

٢. قلوب الصحابة ﷺ سلمت من الزيغ بنص القرآن الكريم وهذه تزكية تسمو بتفسيرهم إلى أعلى المنازل بعد تفسير النبي ﷺ.

٣. إذا كان المسلم الذي في قلبه زيغ، يُحذر من قوله؛ كما نص الحديث الشريف، وكما اقتضى معنى الآية الكريمة؛ فكيف بغير المسلم من أمثال المستشرقين؛ فإن الحذر من أقوالهم أولى.

٤. الآيات المحكمات هن أم الكتاب يُرجع إليها في تفسيره وعليها تدور معانيه، وترد إليها معاني الآيات المتشابهات.

٥. التخصص يجب أن يحترم؛ فالآية الكريمة لقبت من يُعتبر قوله في التفسير بـ (الراسخين في العلم)، وذلك لقبٌ حافل بالمدح والثقة، بينما لقبت من لا يُعتبر قوله في التفسير بالذين في قلوبهم زيغ، وهو لقب حافل بالذم والقبح؛ لذا حذر الرسول ﷺ منهم فقال: (أولئك الذين سمى الله فاحذروهم).

(٢) باب هدي النبي ﷺ في التحذير من الأقوال الشاذة في تأويل القرآن التي تُوقع الفتن

"عن إسماعيل بن رجاء الزبيدي، عن أبيه، قال: سمعت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يقولُ: كنا جلوسا ننتظرُ رسولَ الله ﷺ فخرجَ علينا من بعض بيوت نسائه، قال: فقمنا معه فانقطعت نعله فتخلف عليها عليٌ يخصفها فمضى رسول الله ﷺ ومضينا معه، ثم قام ينتظره وقمنا معه فقال إن منكم من يُقَاتِلُ عَلَى تأويل القرآن كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تنزيله فاستشرفنا وفينا أبو بكر وعمر فقال: لا ولكنه خاصف النعل قال فجئنا نبشره قال فكأنه قد سمعه"[1].

من هدايات أصول التفسير المستنبطة من الحديث الشريف:

جاءت هدايات أصول التفسير في هذا الحديث الشريف في سياق معجزة من معجزات النبي ﷺ تمثلت في الإخبار بغيب المستقبل؛ فقد تحقق ما ذكره

---

[1] مسند أحمد ط (المكنز) (٤/ ٢٣٧٥)، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١ هـ) تح: مكتب البحوث بجمعية المكنز. جمعية المكنز الإسلامي. الأولى، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠ م. وأخرجه الهيثمي وقال:(رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة، وهو ثقة). مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٩/ ١٣٤) أبو الحسن نور الدين الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ) تح: حسام الدين القدسي. مكتبة القدسي، القاهرة ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

النبي ﷺ في خلافة (علي) ﷺ وظهرت فرقة الخوارج[1] التي قاتلته على تأويل القرآن الكريم؛ حيث تأولت بعض آيات القرآن الكريم على غير وجهها، وبنت على ذلك أحكامًا باطلة كفرّت بها عليًا ﷺ وأباحت قتاله. وموضع الشاهد هنا بيان النبي ﷺ سبب القتال الواقع في خلافة على ﷺ وهو الانحراف في تأويل القرآن الكريم الذي وقع كما أخبر ﷺ من الخوارج.

ويؤخذ من ذلك ما يأتي:

أولًا: **الأهمية البالغة لعلم أصول التفسير؛ ووجوب الاهتمام به، وإنضاج بحوثه؛ ذلك أنه يُمثل المرجعية التي يُحْتكم إليها في بيان الصواب والخطأ من وجوه التأويل. فبتأويل الجاهلين استحل الظالمون دماء المبشرين بالجنة (عثمان وعلى) ﷺ وبتأويل الجاهلين ذاقت الأمة عذابات الفرقة والخصام.**

ثانيًا: **الأهمية الكبرى لوجود المفسرين الراسخين في العلم؛ الذين يستطيعون كشف وجه الخطأ والانحراف في التأويل، فهم الذين قال الله فيهم:﴿ ... وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ... ﴾[النساء: ٨٢]، ولو التزم الخوارج بهذا الأصل من**

---

[1] " كل من خرج عن الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يُسمى خارجيًا سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان. انظر الملل والنحل (١/ ١١٣). أبو الفتح الشهرستاني (ت: ٥٤٨ هـ). دار المعرفة –بيروت،١٤٠٤ هـ تح: محمد سيد كيلاني. والمقصود هنا من خرجوا على خلافة على ﷺ.

أصول التفسير، وهو الرد إلى القرآن والسنة وأُولي الأمر الذين يُحسنون الاستنباط؛ لما أوقعوا الأمة في تلك الفتن التي تعاني من آثارها إلى يومنا.

شاهد على ما تقدم: ترجمان القرآن ﷺ ومناظرة الخوارج، ودور المفسر الراسخ في إطفاء الفتن والهداية بالقرآن

جرت مناظرة بين ابن عباس (ت:٦٨ هـ) ﷺ وبين الخوارج حول الآيات التي تأولوا بها الخروج على (علي) ﷺ ومن ذلك قولهم: إن عليًا " حَكَّمَ الرجالَ في دين اللهِ، وقد قال الله عزّ وجل:﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]. فردَّ عليهم ابن عبَّاسٍ (ت:٦٨ هـ)ﷺ ، وقال: " أرأيتم إن قرأتُ عليكم من كتابِ اللهِ المُحْكَمِ وحدَّثْتُكم من سنَّةِ نبيِّكم ﷺ ما لا تنكرون، أترجعون؟ قالوا: نعم. قال: قلت: أمَّا قولُكم: إنه حَكَّمَ الرِّجالَ في دين الله، فإنه يقول: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ [المائدة: ٩٥] وقال في المرأة وزوجها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٣٥] أنشدكم الله: أفَحُكْمُ الرِّجالِ في حقنِ دمائهم وأنفسِهم وصلاحِ ذاتِ بينهم أحقُّ، أم في أرنبٍ ثمنُها رُبْعُ دِرْهَمٍ؟!. فقالوا: اللَّهمَّ في حَقْنِ دمائهم وصلاحِ ذاتِ بينهم. قال: أخرجتُ من هذه. قالوا: اللَّهمَّ نعم قال: وأما قولكم: إنه قاتل، ولم يسب، ولم يغنم: أتسبون أمكم، ثم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها، فقد كفرتم؛ وإن زعمتم أنها ليست بأمكم، فقد كفرتم، وخرجتم من الإسلام؛ إن الله –عز وجل–يقول:﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ

أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]. فأنتم تترددون بين ضلالتين، فاختاروا أيهما شئتم؛ أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم..."[1].

صفوة القول:

أولاً: وجوب صيانة معاني القرآن الكريم من تأويل الجاهلين والوقوف أمام من يقوم بذلك ودفعه، وأن من يقوم بذلك فمقامه محمود كمقام على ﷺ في وجه تأويل الخوارج؛ فقد ذكره النبي ﷺ في سياق مدح، إذ قرنه بسيرته الشريفة وصبره على قتال المشركين له على تنزيل القرآن، فهو يحفظ على الأمة دينها بحفظ مصدره من التحريف المعنوي.

ثانياً: أن قيام المتخصصين باستخلاص أصول التفسير وإقامة الأدلة عليها وتوعية الأمة بها هو من الجهاد العلمي الذي يحمي الأمة من الفتن والاقتتال.

---

[1] انظر المناظرة كاملة في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٣١٩). أبو نعيم الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ). السعادة –مصر، ١٣٩٤هـ –١٩٧٤م.

(٣) باب جواز التفسير بالرأي المحمود، والترغيب في الترقي في فهم القرآن الكريم

روى البخاري عن ابن عباس – رضي الله عنهما– قال: "ضمني رسول الله ﷺ وقال: اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الكِتَابَ" [١]. في رواية للبخاري " اللهم علمه الحكمة" " والحكمة: الإصابة في غير النبوة "[٢]. وفي رواية الإمام مسلم: "اللهُمَّ فَقِّهْهُ" [٣]. وفي رواية ابن حبان: " اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ

---

[١] صحيح البخاري. ك: العلم. ب: قول النبي ﷺ: «اللهم علمه الكتاب» (١/ ٢٦). حديث رقم: ٧٥. مرجع سابق.

[٢] صحيح البخاري: ك: أصحاب النبي ﷺ ب: ذكر ابن عباس –رضي الله عنهما–. (٥/ ٢٧). حديث رقم: ٣٧٥٦.مرجع سابق.

[٣] صحيح مسلم: ك: الفضائل. ب: من فضائل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. (٤/ ١٩٢٧). حديث رقم: ٢٤٧٧. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

التَّأْوِيلَ"[1]. وفي رواية للحاكم " اللهم علمه تأويل القرآن" [2]. وفي رواية ابن ماجة قال: ضمني رسول الله ﷺ إليه وقال: " اللهم علمه الحكمة، وتأويل الكتاب" [3].

الأثر العملي لهذا الدعاء الشريف في علم التفسير:

لشيخ المفسرين الطبري(ت٣١٠هـ)- رحمه الله- كلام نفيس في هذا الشأن يقول فيه: "خص الله -تعالى ذكره-نبينا ﷺ من الفضيلة بإجابته دعاءه، وإعطائه مسألته، وذلك أنه دعا -عليه السلام-لابن عمه عبد الله بن عباس بأن يُعلمه الحكمة، وتأويل القرآن، وأن يُفقهه في الدين، فأعطاه ذلك، وأجاب له دعاءه بما دعا به فيه، فكان عالماً بالحكمة، وتأويل القرآن، فقيهاً في الدين، مقدمًا في ذلك، نقّابًا مبرزًا على أقرانه، لا يتقدمه منهم

---

[1] الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٥/ ٥٣١). محمد بن حبان أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت: ٧٣٩ هـ) تح: شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت. ط. الأولى، ١٤٠٨ هـ -١٩٨٨ م. وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وقال الذهبي في التلخيص (صحيح). المستدرك على الصحيحين (٣/ ٦١٥) أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ) تح: مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت. ط: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩.

[2] المستدرك على الصحيحين للحاكم (٣/ ٦١٨) وقال صحيح على شرط الشيخين. (مرجع سابق)

[3]سنن ابن ماجة: افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم. ب: في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ (١/ ٥٨). ابن ماجة أبو عبد الله القزويني (ت: ٢٧٣هـ). تح: محمد فؤاد عبد الباقي. ط. دار إحياء الكتب العربية -فيصل عيسى البابي الحلبي.

أحد، بل لا يدانيه ولا يقاربه منهم بشر في أيامه، يشهد له بذلك الجلة من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان "[1].**قلت**: ويشهد لتحقق هذا الدعاء النبوي الكريم مناظرة ابن عباس-رضى الله عنهما-للخوارج وبيان وجه خطأهم في تفسير القرآن مما جعل كثيرًا منهم يرجع للحق، وسبق ذكر طرف منها في الباب السابق. **وكان** هذا الحديث الشريف أهم الأسباب التي ذكرها الإمام ابن الوزير (ت: ٨٤٠هـ) في تعليل تقديم تفسير ابن عباس-رضى الله عنهما-على تفسير غيره من الأئمة. فقال: "متى صح الإسناد إليه كان تفسيره من أصح التفاسير مقدمًا على كثير من الأئمة الجماهير..."[2].

ولعله كان سببًا لاعتماد الإمام البخاري -رحمه الله-ما صح عن ابن عباس-رضى الله عنهما-في بيان غريب القرآن فذكره في صحيحه، **يقول العلامة ولي اللّه الدهلوي** (**ت١١٧٦هـ**): "إن من أفضل الشروح لغريب القرآن الكريم، بل أولها بالإطلاق في هذا الباب، هو ما أثر وصح عن ترجمان القرآن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما -عن طريق ابن أبي

---

[1] انظر تهذيب الآثار-مسند ابن عباس (١/ ١٧١). أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) تح: محمود شاكر. مطبعة المدني – القاهرة. وقال ابن الوزير:"... الصحابة اتفقوا على تعظيمه في العلم عموما وفي التفسير خصوصا وسموه البحر والحبر وشاع ذلك فيهم من غير نكير وظهرت إجابة الدعوة النبوية فيه وقصة عمر معه -رضي الله عنهما-مشهورة في سبب تقديمه وتفضيله على من هو أكبر منه من الصحابة وامتحانه في ذلك" إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات (ص: ١٤٧). ابن الوزير، أبو عبد الله، عز الدين اليمني (ت: ٨٤٠هـ). دار الكتب العلمية – بيروت. الثانية، ١٩٨٧م.

[2] انظر إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات (ص: ١٤٧). مرجع سابق.

طلحة، وقد اعتمده الإمام البخاري -غالباً -في جامعه الصحيح..."[1].

وسبقه إلى ذلك الإمام السيوطي (**ت: ٩١١ هـ**) **حيث قال**: "... وأولى ما يرجع إليه في ذلك ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه فإنه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة"[2].

قلت: وقام بجمع غريب القرآن المسند لابن عباس-رضي الله عنهما – من صحيح البخاري العلامة محمد فؤاد عبد الباقي (ت: ١٣٨٨ هـ) في كتاب مفرد سماه "**معجم غريب القرآن مستخرجاً من صحيح البخاري**" رحم الله هؤلاء الأكابر وتقبل منهم جميعًا.

معاني المصطلحات الواردة في روايات الحديث:

أولًا: **الكتاب**. يقرر ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ) أن العرف الشرعي على أن المراد بالكتاب القرآن، والمقصود بتعليم الكتاب أعم من الحفظ والتفهم فيه [3].

ثانياً: **الحِكْمَة**: الحكمة جاءت في مواضع من كتاب الله تعالى، بمعنى القرآن، وجاءت في مواضع بمعنى السنة. أما تفسيرها بمعنى القرآن، ففي قول الله تعالى ذكره:﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]. وأما تفسيرها بمعنى السنة، ففي قول الله تعالى

---

[1] الفوز الكبير في أصول التفسير (ص: ٨١) أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ «ولي الله الدهلوي» (ت: ١١٧٦هـ) عَرَّبَه من الفارسية: سلمان الحسيني النَّدوي. دار الصحوة – القاهرة. ط. الثانية -١٤٠٧ هـ -١٩٨٦ م.

[2] الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٧٣٦). عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ) ت: مركز الدراسات القرآنية. ط: مجمع الملك فهد. السعودية. الأولى.

[3] انظر فتح الباري لابن حجر (١/ ١٧٠) مرجع سابق.

ذكره:﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾[البقرة: ١٢٩]. ويقرر الإمام الطبري(ت ٣١٠هـ) –: " وكلا التأويلين في موضعه صحيح، وذلك أن القرآن حكمة، أحكم الله –عز ذكره–فيه لعباده الحلال والحرام، والأمر والنهي وسائر الشريعة، فالقرآن كما وصفه الله تعالى بقوله:﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾[القمر: ٤]، وكذلك ما سن رسول الله ﷺ لأمته، عن وحي الله ﷻ إليه، حكمة حكم بها فيهم، ففرق لهم بها بين الحق والباطل، وبيّن لهم بها مجمل ما في القرآن، وعرفهم بها معانيه [١].

المراد بالحكمة في حديث الباب:

هناك خلاف بين شُراح الحديث في المراد بـ(الحكمة) الواردة في دعاء النبي ﷺ لابن عباس **وأقرب الأقوال كما اختاره الحافظ ابن حجر: أن المراد بها الفهم في القرآن** [٢].

ثالثاً: التأويل: وأما قوله ﷺ: «...وعلمه التأويل»، فإنه عنى بالتأويل، –كما يرى شيخ المفسرين الطبري (ت ٣١٠هـ) –" ما يؤول إليه معنى ما أنزل الله تعالى ذكره على نبيه ﷺ من التنزيل وآي الفرقان، وهو مصدر من قول القائل: «أولت هذا القول تأويلا»، وأصله من آل الأمر إلى كذا، إذا رجع إليه، ثم قيل: أول فلان له كذا على كذا، إذا حملها على وجه جعل مرجعها

[١] انظر تهذيب الآثار مسند ابن عباس (١/ ١٨٢). مرجع سابق.

[٢] انظر فتح الباري لابن حجر (١/ ١٧٠). مرجع سابق

إليه تأويلا، ... «وأول الحكم على وجهه»، وجهه إلى وجهه الذي هو وجهه من الصواب"[١].

ويرى الإمام ابن العربي المالكي (ت٥٤٣هـ) أن " التفسير بالمقتضى من معنى الكلام، والمقتضب من قوة المنزع[٢]، ... هو التأويل الذي أخبر عنه النبي ﷺ في دعائه الله في هبته لابن عباس فقال: "اللهُم فَقِّهْهُ في الدِّينِ، وَعَلمْهُ التأوِيل"[٣] ... ومن ها هنا اختلف الصحابة .... فأخذ كل أحد في رأيه على منتهى نظره في المقتضى"[٤].

بعض هدايات أصول التفسير المستنبطة من الحديث الشريف.

يدل هذا الحديث الشريف على جواز التفسير بالرأي لمن استكمل أدوات المفسر؛ قال أبو السعادات ابن الأثير(ت٦٠٦هـ)[٥]: "النهي عن تفسير

---

[١] تهذيب الآثار مسند ابن عباس (١/ ١٨٢). مرجع سابق.

[٢] "اقتضب فلان الحديث، إذا ارتجله، وكأنه كلام اقتطعه من غير روية ولا فكر". مقاييس اللغة (٥/ ١٠٠) مرجع سابق.

[٣] سبق تخرجه وذكر رواياته فهو حديث الباب.

[٤] قانون التأويل (ص: ٦٦٠) بتصرف. القاضي. أبو بكر بن العربي المالكي (ت: ٥٤٣هـ) تح: محمّد السّليماني. دار القبلة للثقافة الإسلاميَّة، جَدّة، مؤسَسَة عُلوم القرآن، بيروت. الأولى، ١٤٠٦ هـ -١٩٨٦ م.

[٥] أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد مجد الدين الشيباني الجزري الموصلي الكاتب، المعروف بابن الأثير، مصنف «جامع الأصول الستة»، و «النهاية في غريب الحديث»، وغير ذلك. توفي سنة ست وست مائة. قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر (٥/ ٢٥) أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهِجراني

القرآن بالرأي[1] لا يخلو إما أن يكون المراد به: الاقتصار على النقل والمسموع، وترك الاستنباط، أو المراد به: أمر آخر. وباطل أن يكون المراد به: ألا يتكلم أحد في القرآن إلا بما سمعه، فإن الصحابة ﷺ قد فسروا القرآن، واختلفوا في تفسيره على وجوه، وليس كل ما قالوه سمعوه من النبي ﷺ، وإن النبي ﷺ دعا لابن عباس فقال: (اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل)[2]، فإن كان التأويل مسموعًا كالتنزيل؛ فما فائدة تخصيصه بذلك؟! "[3].

الحضرمي الشافعي (٨٧٠ –٩٤٧ هـ) عُني به: بو جمعة مكري / خالد زواري. دار المنهاج –جدة ط: الأولى، ١٤٢٨ هـ –٢٠٠٨ م.

[1] وردت بعض الأحاديث في النهي عن التفسير بالرأي، لم أجعلها ضمن الأحاديث الواردة في البحث لضعف أسانيدها، وإن كانت معانيها صحيحة والمقصود بالرأي المنهي عن تفسير القرآن به؛ هو الرأي النابع عن هوى، ولا يستند إلى دليل، أو هو الصادر من غير أهله خبط عشواء. قال الإمام ابن العربي: " ليس في الوعيد على ذلك (أي: تفسير القرآن بالرأي المذموم) حديث صحيح، لكنه معنى صريح في الملة ". قانون التأويل (ص: ٦٥٩) القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المالكي (ت: ٥٤٣هـ) مرجع سابق.

[2] قال ابن حجر: "هذه اللفظة اشتهرت على الألسنة (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) حتى نسبها بعضهم للصحيحين. ولم يُصب. والحديث عند أحمد بهذا اللفظ من طريق بن خيثم عن سعيد بن جبير عن بن عباس وعند الطبراني من وجهين آخرين وأوله في هذا الصحيح من طريق عبيد الله بن أبي يزيد عن بن عباس دون". (فقهه) فهمه ومناسبة الدعاء له بالفقه في الدين حسن تصرفه الذي يدل على ذكائه". انظر فتح الباري (٧/ ١٠٠) مرجع سابق.

[3] جامع الأصول في أحاديث الرسول ٢/ ٤. مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) تح:

قلت: وقد سبق حجة الإسلام الغزالي (ت ٥٠٥هـ) –رحمه الله–ابن الأثير(ت٦٠٦هـ) في تقرير هذا المعنى؛ بل إن بعض عبارات الغزالي بلفظها موجودة في كلام ابن الأثير، لكنه لم يُشر إليه، و(الغزالي) وفاته كانت قبل وفاة (ابن الأثير) بمائة عام –رحمهما الله تعالى–ولعل ابن الأثير اعتمد على شهرة كتاب إحياء علوم الدين؛ وأنه لن يخفى على طالب العلم ذلك. ومن عبارات الإمام الغزالي في المسألة قوله: ".... من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان، وستة، وسبعة، ونعلم أن جميعها غير مسموع من النبي ﷺ ؛ فإنها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع؛ فيكون ذلك مستنبطاً بحسن الفهم وطول الفكر ولهذا قال ﷺ لابن عباس رضي الله عنه اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل..."[١]، وقوله: " .... دعا لابن عباس رضي الله عنه وقال اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل فإن كان التأويل مسموعاً كالتنزيل ومحفوظاً مثله؛ فما معنى تخصيصه بذلك..."[٢].

ضابط المحمود والمذموم من التفسير الرأي:

يُفرق بين نوعين من التفسير؛ فالرأي المنهي عنه في التفسير–كما يقول الإمام ابن العربي المالكي (ت: ٥٤٣هـ) –هو الذي " يُدبره في نفسه؛

عبد القادر الأرناؤوط –التتمة تح: بشير عيون. مكتبة الحلواني –مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان. ط. الأولى.

[١] إحياء علوم الدين (١/ ٣٧) إحياء علوم الدين. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ). دار المعرفة – بيروت.

[٢] السابق (١/ ٢٩٠).

وذلك شرط أن يكون بغير طريقةٍ"[1] ويقصد – رحمه الله–بقوله "بغير طريقةٍ" أنه لا يقوم على منهج صحيح. وأما التفسير بالرأي المحمود فهو" إذا فسره بما يدبره النظر في محتملاته وترجيح الأقوى من متعلقاته، فهو برأيه أيضا، ولكن وقع الذم علي أحد القسمين، وهو تفسيره بما يراه بتدبيره، دون القيام بشروطه، ومن غير المعرفة بوجوهه"[2]. قال:" والضابط لهذا كله أن يكون الناظر في القرآن يلحظه بعين التقوى، ولا يميل به إلى رأي أحد للهوى، وإنما ينظر إليه من ذاته ابتغاء علم الله ومرضاته، وهو الأول. والثاني: أن يكون نظره بعد استقلاله بشروط النظر كما قدمنا، ولا يسترسل على جميعه، وهو لم يستوف شروط الناظر فيه، فَإِنَّ أصْلَ التخليط في تفسير من تَسَوّر[3] –ممن لا يستكمل شروط النظر فيه–عليه"[4].

---

[1] انظر عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي (١١/ ٥٠). القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المالكي (ت: ٥٤٣ هـ). دار الكتب العلمية بيروت.

[2] السابق نفسه.

[3] أي اقتحم أسوار التفسير بلا مؤهلات.

[4] قانون التأويل (ص: ٦٦٠) مرجع سابق.

استدراك الإمام الطيبي على الإمام الواحدي في موقفه من التفسير بالرأي:

قال الإمام الواحدي (ت: ٤٦٨ هـ):"... ومن شرف علم التفسير وعزته في نفسه، أنه لا يجوز القول فيه بالعقل والتدبر، والرأي، والتفكر دون السماع، والأخذ عمن شاهدوا التنزيل بالرواية والنقل"[١].

واستدرك الإمام الطيبي (ت: ٧٤٣ هـ) على كلام الإمام الواحدي السابق فقال:" ... الرأي الذي يُؤدي إلى باطل أو جهل لا نعتبره في التأويل، وهو المعني بالمنع والتشديد، **لكن نخالفه أن نمنع الرأي بالكلية!** وكيف لا وهو (يقصد الواحدي) قد أتى في كتابه[٢] مما لم ينقل عن الصحابة من التأويلات بما لا يدخل تحت الحصر؟ وكيف يمنع الاستنباط والأئمة الأربعة والعلماء الراسخون قد استنبطوا من القرآن علوماً جمة كالفقه، والأصولين، والنحو، والمعاني، والأخلاق، وغير ذلك؟ وليس كل ما قالوه سمعوه، ورد هذا ينتهي إلى سد باب عظيم في الدين"[٣].

---

[١] فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (١/ ٦٥٠). شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي. جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم. الأولى، ١٤٣٤ هـ -٢٠١٣ م. ولم أقف على عبارة الواحدي تلك في كتبه الثلاثة ولعله ذكرها في رسالته المسماة (شرف علم التفسير) التي ذكر الدكتور جودة المهدي أنها مخطوطة بدار الكتب المصرية انظر: الواحدي ومنهجه في التفسير ص ٩٥.ط وزارة الأوقاف المصرية.

[٢] لعل الإمام الطيبي يقصد كتاب البسيط في التفسير، وللواحدي كتابين آخرين في التفسير هما (الوسيط والوجيز).

[٣] السابق سابق نفسه.

ويؤكد الإمام البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) أن الرأي المنهي عنه هو " ...الذي يغلب على القلب من غير دليل قام عليه، وأمّا الذي يشدّه برهان فالقول به جائز"[١].

صفوة القول:

أولًا: كان الصحابة يجتهدون في التفسير في مجلس النبي ﷺ.

ثانياً: إقرار النبي ﷺ لمبدأ الاجتهاد في التفسير القائم على الفهم اللغوي وأن الخطأ فيه يصحح لكن يبقى باب الاجتهاد مفتوحًا من أهله وفي محله.

ثالثاً: لتفسير الصحابي الجليل عبد الله بن عباس-رضى الله عنهما- منزلة خاصة بين تفاسير الصحابةﷺ مؤسسة على دعاء خاص من النبي ﷺ.

---

[١] مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود (٢/ ٨٩٦). أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٨٤٩ -٩١١ هـ) بعناية: محمد شايب شريف. دار ابن حزم، بيروت – لبنان. الأولى، ١٤٣٣ هـ -٢٠١٢ م.

(٤) باب: التحذير من استخدام المصطلحات والمناهج الدخيلة (مثل تلك التي صاغها المستشرقون[١] و العلمانيون[٢] والحداثيون[٣]) في تفسير القرآن الكريم.

عن أبي سعيد ﷺ ، أن النبي ﷺ قال: " لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه"، قلنا يا رسول الله: اليهود، والنصارى قال: " فمن؟ "[١].

---

(١) سبق التعريف بالاستشراق والمستشرقين في باب: هدي النبي ﷺ في التحذير من المفسرين بالرأي المذموم.

(٢) "العلمانية SECULArISM وترجمتها الصحيحة: اللادينية أو الدنيوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل ومراعاة المصلحة بعيداً عن الدين. وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم، وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم SCIENCE وقد ظهرت في أوروبا منذ القرن السابع عشر". انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٦٧٩). مرجع سابق.

(٣) "الحداثة مذهب فكري أدبي علماني، بني على أفكار وعقائد غربية خالصة مثل الماركسية والوجودية والفرويدية والداروينية، وأفاد من المذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقته مثل السريالية والرمزية... وغيرها. وتهدف الحداثة إلى إلغاء مصادر الدين، وما صدر عنها من عقيدة وشريعة وتحطيم كل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية بحجة أنها قديمة وموروثة لتبني الحياة على الإباحية والفوضى والغموض، وعدم المنطق، والغرائز الحيوانية، وذلك باسم الحرية، والنفاذ إلى أعماق الحياة. والحداثة خلاصة مذاهب خطيرة ملحدة، ظهرت في أوروبا كالمستقبلية والوجودية والسريالية وهي من هذه الناحية شر لأنها إملاءات اللاوعي في غيبة الوعي والعقل وهي صبيانية المضمون وعبثية في شكلها الفني وتمثل نزعة الشر والفساد في عداء مستمر للماضي والقديم، وهي إفراز طبيعي لعزل الدين عن الدولة في المجتمع

هدايات أصول التفسير المستنبطة من الحديث الشريف.

قوله ﷺ (لتتبعن) يُراد به النهي، والتحذير عن اتباع أهل الكتاب، فيما يتعلق بالعقائد، والعبادات، والشعائر، وكل ذريعة لشبهة، أو فتنة [٢] و اتباع مناهج غير المسلمين في البحث النظري، وما قاموا

الأوروبي ولظهور الشك والقلق في حياة الناس مما جعل للمخدرات والجنس تأثيرهما الكبير". انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٨٦٧). مرجع سابق.

[١] صحيح البخاري (٤/ ١٦٩) ك: أحاديث: الأنبياء. ب: ما ذكر عن بني إسرائيل. حديث رقم: ٣٤٥٦.مرجع سابق. "(لتتبعن) اللام في جواب قسم محذوف والخطاب لأمة الإجابة الإسلامية والعين في لتتبعن مضمومة والنون مشددة للتأكيد (سنن) بفتح السين والنون أي طريق (من قبلكم) أي الذين سبقوكم زمنا ممن لهم طريق سماوي والمقصودون أهل الكتاب اليهود والنصارى. (الضب) بفتح الضاد وتشديد الباء دابة صغيرة الحجم جبلية المسكن وجحرها مَثَلٌ في الضيق والتعريج والرداءة فالكلام مبالغة في تمام المتابعة ووصول بها إلى فرض المستحيل. (اليهود والنصارى) مفعول به لفعل محذوف، والتقدير: أتعني اليهود والنصارى؟ والاستفهام حقيقي(فمن) اسم استفهام مبتدأ محذوف الخبر أي فمن أعني غيرهم والاستفهام إنكاري بمعنى النفي أي لا أعني غيرهم". انظر: المنهل الحديث في شرح الحديث (٣/ ١٧٦). الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين. دار المدار الإسلامي .ط. الأولى، ٢٠٠٢ م.

[٢] هذا الحديث الشريف له سبب ورود (لكن العبرة بعموم لفظ الحديث لا بخصوص سبب وروده). روى الترمذي بسنده عن أبي واقد الليثي، أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها: ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: " سبحان الله! هذا كما قال قوم موسى:﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم. سنن الترمذي:(٤/ ٤٧٥) أبواب: الفتن عن

بنحته من مصطلحات، وما بنوه من نظريات خاصة بالبحث الديني؛ ذريعة للفتن والشبهات؛ و (الذرائع) كما قرر الإمام ابن العربي (ت: ٥٤٣ هـ) [١] أصل من أصول الفقه[٢]، " وهو كل فعل جائز في ذاته، مُوْقع في محذور، أو محظور لعاقبته "[٣] ، ولا نقصد بذلك بحوث العلوم المادية التجريبية ؛ لأنها لا تختلف باختلاف الأديان والثقافات، اللهم إلا فيما يتعلق باستخدام نتائج هذه البحوث في خير، أو شر، وهذا هو الفرق؛ إذ وضعت شريعة الإسلام معايير أخلاقية في استخدام تلك النتائج. أما بحوث الدين، والأدب والتاريخ، والاجتماع، فإن مناهجها، ومصطلحاتها ينبغي أن تكون نابعة من روح أمتنا وثقافتها، ولغتها، ومرجعيتها العليا المتمثلة في القرآن والسنة؛ فذلك يُؤثر على نتائجها التي تتوغل داخل ثقافة الأمة؛ مؤثرة في

رسول الله ﷺ. ب: ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. محمد بن عيسى، الترمذي، (ات: ٢٧٩هـ) تح: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) مصطفى البابي الحلبي. ط: الثانية، ١٣٩٥ هـ -١٩٧٥ م.

[١] الإمام العلامة الحافظ القاضي، أبو بكر، محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله، ابن العربي الأندلسي الإشبيلي المالكي، صاحب التصانيف. سأله ابن بشكوال عن مولده، فقال: في سنة ثمان وستين وأربع مائة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ط الحديث (١٥/ ٤٢). شمس الدين أبو عبد الله الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) دار الحديث- القاهرة. ط. ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

[٢] أصول الفقه: هو العلم بالقواعد التي يُتَوصَّل بها إلى الفقه. انظر التعريفات (ص: ٢٨). مرجع سابق.

[٣] المسالك في شرح موطأ مالك (٤/ ١٦٢). القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المالكي (ت: ٥٤٣هـ) تح: محمد بن الحسين السُّليماني وعائشة بنت الحسين السُّليماني. دَار الغَرب الإسلامي ط. الأولى، ١٤٢٨ هـ -٢٠٠٧ م.

عاداتها، ووعيها، وتصورها للكون والحياة، وصحة الفهم للقرآن والسنة، وتراث العلماء.

وقد مرت بأمتنا الإسلامية فتنٌ عظيمةٌ؛ في قرون خوالي بسبب مناهج، ومصطلحات الفلسفة اليونانية، والمنطق الأرسطي بعد ترجمتها للغة العربية، ومن ثم دمجها في العلوم الإسلامية؛ فعكّرت صفوها، وعسّرت يسرها، ولا زالت تلك العلوم متأثرة بذلك سواء علم الكلام، أو النحو، أو أصول الفقه، أو التفسير أوغيرها، ومما يذكره التاريخ بفخر للإمام أبي حامد الغزالي(ت ٥٠٥)[١]–رحمه الله– أنه حاز لقب مجدد القرن الخامس الهجري دون نزاع[٢]؛ لأنه نجح في إخماد فتنتين كبيرتين عصفتا بالأمة الإسلامية في زمنه بسبب تلك المناهج الوافدة، هما فتنة الفلسفة، ومصطلحاتها ومناهجها، وفتنة الباطنية[٣] ، ومصطلحاتها ،ومناهجها. أما الفتنة الأولى: فقد أخمدها

---

(١) "محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الإمام الجليل أبو حامد الغزالي حجة الإسلام ولد بطوس سنة ٤٥٠ وتوفي سنة ٥٠٥ طارت شهرته في الآفاق له تصانيف جليلة منها إحياء علوم الدين والمستصفى في أصول الفقه". انظر ترجمته المسهبة في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٦/ ١٩١) تاج الدين عبد الوهاب السبكي (ت: ٧٧١هـ) تح د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو. هجر للطباعة والنشر والتوزيع. ط. الثانية، ١٤١٣هـ.

(٢) ذكر الْحَافِظ السيوطي المجددين في أرجوزة سَمَّاهَا تحفة المهتدين بأخبار المجددين وفيها (وَالْخَامِس الحبر هُوَ الغزالى ... وعده مَا فِيهِ من جِدَال) انظر خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٣/ ٣٤٤). محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (ت: ١١١١هـ). دار صادر – بيروت.

(٣) االباطنية: "هم جماعة ترى أن لظواهر النصوص والأخبار بواطناً، وهم طوائف عديدة تلجأ إلى الرموز والإشارات في تفسير النصوص، وإخراجها عن معانيها الظاهرة، وهم

بكتابه تهافت الفلاسفة. وأما الثانية: فقد أبطل سحرها بكتابه فضائح الباطنية[١].

تنزيل الحديث الشريف على فتنة العصر:

إذا كان لكل زمان فتنته التي يُمتحن بها أهله؛ فقد أسس المستشرقون أرضًا خصبة تنبت فيها الشبهات، والأضاليل في العصر الراهن تغذت عليها انحرافات العلمانيين، والحداثيين، وأباطيل القراءة المعاصرة للقرآن، ومن يقرأ مصطلحاتهم ونظرياتهم –التي يحاولون تطبيقها، وتنزيلها على تفسير القرآن الكريم يتذوق بلاغة التعبير النبوي، في تشبيه تلك الفتن بـ (جحرِ ضبٍ)؛ في ضيقه، وظلمته، واعوجاجه؛ فتلك النظريات مهما أجهدت نفسك في دراستها؛ فإنك لا تلبث أن تُدرك حقيقة أنك بمثابة عاصرِ الحجر الأصم، تنتظرُ منه قطرات ماءٍ، أو زاحف في جحر ضبٍ[٢] تبحث فيه عن نور، أو اتساع، واستقامة!!

بذلك يهدمون الدين، ويبطلون شعائره وأحكامه". انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥/ ٩٨). أبو محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ). مكتبة الخانجي –القاهرة.

[١] يرجع في تفصيل ذلك إلى كتاب رجال الفكر والدعوة للشيخ أبي الحسن الندوي الجزء الخاص بحجة الإسلام الغزالي فقد أسهب –رحمه الله–في الحديث عن عصره وتأثره به وتأثيره فيه. ط. دار القلم دمشق.

[٢] قال الحافظ: " الذي يظهر أن التخصيص إنما وقع لجحر الضب لشدة ضيقه ورداءته ومع ذلك فإنهم لاقتفائهم آثارهم واتباعهم طرائقهم لو دخلوا في مثل هذا الضيق الرديء لتبعوهم". فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٩٨). مرجع سابق.

وإذا كان الصحابة ﷺ قد نهاهم الله تعالى عن قول كلمة (راعنا)؛ سدًا للذريعة؛ لئلا يتحقق غرض اليهود في ترويج الانحراف في خطاب النبي الكريم ﷺ، وأمروا باستخدام كلمة (انظرنا)؛ التي تدل على المعنى دون تداخل في المعاني﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤]. -إذا كان ذلك كذلك-؛ فإن تجنب استخدام مصطلحات الاستشراق، والقراءة المعاصرة في تفسير القرآن الكريم أمر واجب. أما كشف شبهاتهم، وتفنيد مصطلحاتهم، ونظرياتهم، فينبغي أن يكون لها علم خاص؛ هو علم (كشف الشبهات)، ليبقي تفسير القرآن الكريم خالصاً موجهاً شراعه نحو غاية القرآن العظيم في الهداية، والتشريع والتربية، ولا يشغل قارئه عنها بما يُثير الشبهة ويتنافى مع تيسير الله-عز وجل-كلامه للذكر. وما أصدق ما قاله الشيخ عبد الوهاب خلاف-رحمه الله- (ت ١٣٧٥ هـ)[1]: " ليس من السائغ قانونًا، ولا عقلاً أن يُسن الشارع قانونًا من القوانين بلغةٍ، ويتطلب من الأمة أن تفهم ألفاظ مواده وعباراتها، على مقتضى أساليب وأوضاع لغة أخرى، لأن شرط صحة التكليف بالقانون قُدرة المكلفين به على فهمه. ولهذا يُوضع القانون في الأمة بلسانها، وبلغة جمهور أفرادها، ليكون في استطاعتهم فهم الأحكام منه بأساليب الفهم في

---

[1] عبد الوهاب بن عبد الواحد خلاف(١٣٧٥هـ): " فقيه مصري، من العلماء. كان أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق، ومفتشا في المحاكم الشرعية، وأحد أعضاء مجمع اللغة العربية. ولد بكفر الزيات، وتخرج بمدرسة القضاء الشرعي بالقاهرة (سنة ١٩١٢م) وكان أخطب الطلاب فيها. ودرّس بها له تصانيف مطبوعة" انظر: الأعلام للزركلي(١٨٤/٤). خير الدين الزركلي (ت: ١٣٩٦هـ). دار العلم للملايين. الخامسة عشر-أيار/ مايو ٢٠٠٢م.

لغتهم. ولا يكون القانون حجة على الأمة إذا وضع بغير لغتها أو كان طريق فهمه غير طريق فهم اللغة التي وضع بها، قال تعالى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾[إبراهيم: ٤] "[١].

وهذه المصطلحات الأجنبية تبقى نبتة غريبة عن روح حضارتنا الإسلامية؛ جاءت محملة بأوزار ما حدث للتوراة، والإنجيل من تحريف، وما أفرزه ذلك، من مناهج، ونظريات، ومصطلحات، تواضع عليها الدارسون لتاريخهما، وتفسيرهما، فمحاولة تطبيق تلك المناهج والنظريات والمصطلحات على القرآن الكريم، ظلم وعبث؛ فتاريخ القرآن الكريم، وحفظه، وكتابته، ولغته، وتفسيره، كل ذلك له خصائص، لم تكن تتوافر للتوراة، ولا للإنجيل[٢].

يقول الأستاذ رؤوف أبو سعدة:" عيب اللفظ المنقول على أصله الأعجمي إلى اللغة المستعيرة أنه ليس دالاً بذاته على أصل معناه في لغة المنقول عنهم، فيلتبس على غير المتخصص من أبناء اللغة المستعيرة، وربما استخدم في غير ما وضع له. يحدث هذا بالتحديد في ألفاظ "المعاني"، أي الألفاظ الدالة على الفعل وهيئة الفعل، من مثل " الاستراتيجية" و"الديمقراطية"، الخ، في اللغات المعاصرة، مما ليس له مقابل مادي خارج الذهن، يوضحه ويجليه ويذكر به، أكثر مما يحدث في أسماء

---

(١) علم أصول الفقه (ص: ١٤١). المؤلف: عبد الوهاب خلاف (ت: ١٣٧٥هـ). مكتبة الدعوة –شباب الأزهر. عن الطبعة الثامنة لدار القلم.

(٢) يُنظر بتوسع هذه القضية في كتاب: نسخ التلاوة بين اجتهاد العلماء وشبهات الخصوم. وكتاب: كتابة القرآن في حياة النبي ﷺ. كلاهما تأليف د عماد محمود محمود عبد الكريم ط. مكتبة الإيمان بالقاهرة. الأولى ٢٠١٨م.

الأشياء والمنتجات والمصنوعات والعدد والآلات والمكتشفات والمخترعات التي سبقت إليها الحضارة الغالبة مثل " الرادار" وغيره، مما له خارج الذهن مقابل مادي يوضحه ويجليه ويذكر به. أما اللغة التي تستعير من غيرها معاني الأفعال وأسماء الأفعال، فهي لغة قد عقم تفكير أهلها وضحل، ينتظرون من غيرهم أن يفكر لهم، ثم يأخذوا عنه أخذ الببغاء والقردة، فيزداد تبعية ويمعنوا ارتكاسًا، لغة أهل الحضارة الغالبة هي المثل على تطور اللغة بتطور الحضارة الذاتية لأبناء اللغة، ولغة الحضارة التابعة هي المثل على تحور اللغة بتأثير الغزو اللغوي – الحضاري"[1]."إن هناك محاولات حثيثة خبيثة من جانب الغرب لتعميم الهزيمة الحضارة للعالم الإسلامي ونقلها من شقها المادي إلى شقها المعنوي القيمي أيضًا؛ لأن الأمم التي تتمسك بقيمها المعنوية؛ يؤمل لها أن تستعيد تفوقها الحضاري، أما إذا هزمت أيضًا وصارت تابعة في الجانب المعنوي والروحي من الحضارة؛ فلا أمل في نهوضها من جديد، بل ستبقي متسولة على موائد الحضارات، وفرق شاسع بين التلاقح اللغوي بسبب تعارف الشعوب وبين استيراد مصطلحات جاهزية تحمل في طيات معانيها جراثيم التبعية الفكرية والعقلية وعندنا ما يغني عنها في أمن وسلام"[2].

---

١. [1] العلم الأعجمي في القرآن ٦٨/١.تأليف: الأستاذ رؤوف أبو سعدة. طبع دار الهلال مصر بدون تاريخ.

[2] السابق.

صفوة القول:

أولًا: علومنا الإسلامية لها مصطلحاتها العربية التي تداولها علماؤنا أربعة عشر قرنًا تلاقحت فيها أفكارهم، وسقيت من نبع القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وتغذت من خشية العلماء وإخلاصهم وجرى تمحيصها ومدارستها في مجالس العلم وبطون الكتب، وشروحها، وحواشيها؛ فتلك العلوم وفي مقدمتها التفسير وعلوم القرآن، وأصول التفسير ليست بحاجة لتلك المصطلحات الأعجمية الوافدة التي نشأت في صدور رجال لا يؤمنون بقرآن ولا سنة، ولا يُحسنون فهم لغتهما ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١]

ثانيًا: استخدام المصطلحات الغربية الوافدة في الدراسات القرآنية باعتبارها مُؤَسِسةٌ للبحث العلمي كمصطلحات المستشرقين والقراءة المعاصرة والحداثيين؛ ذريعة لفتنة تصرف الأمة عن فهم القرآن الكريم فهمًا سليمًا، وتفتح بها أبواب التأويل الفاسد لمعاني القرآن الكريم، وكل ذلك لا شك خطورته، وحرمته.

(٥) باب: الهدي النبوي في تفسير القرآن بالقرآن

"عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام: ٨٢]، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: " لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾بِشِرْكٍ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ "[١].

بعض هدايات أصول التفسير المستنبطة من هذا الحديث الشريف:

١. وجوبُ البحثِ عن تفسير القرآن في القرآن نفسه؛ فمع أن كلام النبي ﷺ وحي، وهو في ذاته دليل؛ إذ كان يكفيه ﷺ أن يقول إن المراد بالظلم في الآية الشرك، ولكنه ﷺ أحال إلى آية أخرى واستشهد بها؛ ليقرر هذا الأصل العظيم من أصول التفسير، ويعلمه أمته.

٢. يُؤَصِّل هذا الحديث الشريف لنوع من أنواع بيان القرآن للقرآن، وهو البيان المنفصل[٢] ؛فإن الآيتين المُفَسَّرة والمُفَسِّرة منفصلتان، بل كل منهما في سورة غير الأخرى.

---

[١] صحيح البخاري (٤/ ١٤١) ك: أحاديث الأنبياء. ب: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾[النساء: ١٢٥]. حديث رقم: ٣٣٦٠.مرجع سابق.

[٢] ذكر الإمام السيوطي ما يقع به البيان بالأمثلة ما ملخصه: أنّ بيان آي القرآن قد يقع بالمتصل، كما وقع لقوله تعالى: ﴿الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ﴾ [البقرة: ١٨٧] بقوله: ﴿ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [البقرة: ١٨٧] وقد يكون البيان بالمنفصل كما في قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ﴾ [البقرة: ٢٢٩] فقد بيّنه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا

٣. إقرارُ[١] النبي ﷺ مبدأ الاجتهاد في التفسير؛ إذ لم ينكر على الصحابة ﷺأصل اجتهادهم في فهم الآية بما يعرفونه من لغتهم التي نزل بها القرآن، وإنما بيّن لهم وجه الصواب فيه.

ومن لطائف أصول التفسير النفيسة في تبويب الإمام البخاري-رحمه الله تعالى-(ت ٢٥٦ هـ) لصحيحه؛ أنه أخرج هذا الحديث في باب: " ما جاء في المتأولين" وشرح الحافظ ابن حجر- رحمه الله تعالى- (ت: ٨٥٢هـ) مناسبة الحديث للترجمة فقال: "ووجه دخوله في الترجمة من جهة أنه ﷺ لم يُؤاخذ الصحابة ﷺ بحملهم الظلم في الآية على عمومه؛ حتى يتناول كل معصية، بل عذرهم؛ لأنه ظاهر في التأويل، ثم بيَّن لهم المراد بما رفع الإشكال"[٢].

٤. أن العام يبقى على عمومه، حتى يرد دليل التخصيص[٣].

تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾ [البقرة: ٢٣٠] ، فإنه بيّن أن المراد بالطلاق في الآية الأولى: الذي يملك الرجعة بعده، ولولا الآية الثانية لكان الطلاق منحصراً في الطلقتين. انظر الموسوعة القرآنية المتخصصة (١/ ١٧٠). مجموعة من العلماء المتخصصين. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر ١٤٢٣ هـ -٢٠٠٢ م.

[١] التقرير أو الإقرار. يعني: أن يُخْبَرَ النبي ﷺ بشيء أو يحدث أمامه، فلا ينكره ﷺ. انظر: منهج النقد في علوم الحديث (ص: ٢٩). المؤلف: الدكتور نور الدين عتر. دار الفكر، دمشق – سورية ط: الثالثة، ١٤٠١ هـ -١٩٨١ م.

[٢] فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٣٠٥). مرجع سابق.

[٣] "الصحابة ﷺ فهموا من قوله (بظلم) عموم أنواع المعاصي، ولم يُنكر عليهم النبي ﷺ ذلك، وإنما بيّن لهم أن المراد أعظم أنواع الظلم وهو الشرك .... وإنما حملوه على العموم؛ لأن قوله بظلم نكرة في سياق النفي، لكن عمومها هنا بحسب الظاهر. قال

٥. أن النكرة في سياق النفي تَعمُّ.

٦. أن الخاص[١] يقضي عَلى العام، والمبين عَلى المجمل[٢].

٧. أن اللفظ يُحمل عَلى خلاف ظاهره لمصلحة دفع التعارض[٣].

المحققون: إن دخل على النكرة في سياق النفي ما يؤكد العموم ويقويه نحو (من) في قوله: ما جاءني من رجل. أفاد تنصيص العموم، وإلا فالعموم مستفاد بحسب الظاهر، كما فهمه الصحابة من هذه الآية، وبيّن لهم النبي ﷺ أن ظاهرها غير مراد، بل هو من العام الذي أريد به الخاص، فالمراد بالظلم أعلى أنواعه وهو الشرك". انظر فتح الباري لابن حجر (١/ ٨٧،٨٨). مرجع سابق.

[١] اللفظ الخاص: "هو لفظ وُضع للدلالة على فرد واحد بالشخص مثل محمد، أو واحد بالنوع مثل رجل، أو على أفراد متعددة محصورة، مثل ثلاثة، وعشرة، ومائة، وقوم، ورهط، وجمع، وفريق، وغير ذلك من الألفاظ التي تدل على عدد من الأفراد، ولا تدل على استغراق جميع الأفراد. وقد يرد اللفظ الخاص مطلقاً من أي قيد، وقد يرد مقيداً بقيد، وقد يكون على صيغة طلب الفعل، مثل: (اتق الله)، وقد يكون على صيغة النهي عن الفعل، مثل: (ولا تجسسوا)، فيندرج في الخاص المطلق، والمقيد، والأمر، والنهي" أهـ. علم أصول الفقه. عبد الوهاب خلاف (ص: ١٩١) مرجع سابق.

[٢] المجمل في اللغة: "المبهم، من أجمل الأمر: إذا أبهم. ... وفي الاصطلاح: هو ما دل دلالة لا يتعين المراد بها إلا بمعين، سواء كان عدم التعيين بوضع اللغة، أو بعرف الشرع، أو بالاستعمال". انظر إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (٢/ ١٢، ١٣) محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) تح: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق –كفر بطنا قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور. دار الكتاب العربي ط. الأولى ١٤١٩هـ –١٩٩٩م.

[٣] انظر النكت على صحيح البخاري (١/ ٣١٨). أبو الفضل ابن حجر العسقلاني تح: أبو الوليد السعيدني، أبو تميم نادر. المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر. ط: الأولى، ١٤٢٦ هـ –٢٠٠٥ م.

٨. يُؤصل هذا الحديث الشريف لمنهج التفسير الموضوعي للموضوع القرآني؛ فهذا المنهج قائم على البحث في نظائر الآيات، والمفردات، لفظًا ومعنى، واستكشاف المعاني القرآنية من خلال النظرة الشاملة لها. يقول العلامة محمد عبد الله دراز – رحمه الله–: "إذا كان كلام العاقل الصادق يجب أن يُفسر بعضه بعضًا ويُرد بعضه إلى بعض؛ لإنه كله حق، والحق لا يناقض الحق، فكيف بأحكم الكلام وأصدقه؟ ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران: ٧] ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]".(١)

٩. يُؤخذ –قياسًا–من هذا الحديث مشروعية استنباط القواعد الكلية لمعاني المفردات من خلال استقراء استخدام القرآن الكريم لها، ودلالتها على المعاني في السياقات المتعددة، مثال ذلك لفظي (الإيمان والإسلام)؛ فقد استنبطَ العلماءُ قاعدةً استقرائيةً مُسْتَخْلَصةً من التتبع لسياق استعمالاهما في القرآن الكريم، وهي: أن هذين اللفظين (إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا). ومعناها كما يقول العلامة محمد عبد الله دراز: " أنهما إذا ذُكر أحد اللفظين في معرض المدح والثناء بدون الآخر، ولم تكن هناك قرينة دالة على اختصاص المذكور بأصل معناه كان المراد بالمذكور معناه، ومعنى صاحبه، ولم يكن ترك الآخر إغفالاً له، بل اتكالاً على ما بَيْنَهُ، وبَيْنَ المذكور من ارتباط في قصد الشارع، وبالتالي في ذهن السامع". "وهذا حكمٌ لا يختص بلفظي الإيمان والإسلام، بل يجري في كثير من ألفاظ

(١) انظر المختار من كنوز السنة ص ٩٧ العلامة محمد عبد الله دراز–رحمه الله–. ط مجمع البحوث الإسلامية.

اللغة العربية التي تختلف معانيها بحسب الدلالة المطابقية[١]، ولكنها يكون بين معانيها ارتباط عقلي، أو عرفي، أو وضعي. فإذا ذُكرت مجتمعة، فُهم من كل واحد منها معناه الأصلي فقط؛ دفعًا للتكرار، وإذا ذُكر بعضها، كان ذكره بفرده؛ مغنيًا عن ذكر الباقي، حتى كأن كل واحد منهما صار عنوانًا على مجموع تلك المعاني"[٢].

١٠. يُستدل بهذا الحديث على أن معرفة اللغة العربية، والتبحر فيها لا يكفي وحده في فهم كل آيات القرآن؛ فإن الصحابة ﷺ هم أهل اللغة، وقد فهموا الآية على وجهها اللغوي، وهو أن الأصل

---

[١] الدلالة المطابقية هي: "دلالة اللفظ على كل معنى، وذلك كدلالة لفظ إنسان على الحيوان الناطق ، فهذه مطابقية طابق اللفظ فيها المعنى، أي: ساواه فلم ينقص اللفظ عن معناه، ولا المعنى عنه، وهذه دلالة اللفظ على حقيقة معناه، وهي المتبادرة عند إطلاق الدلالة، وعند إطلاق اللفظ، وقد يُراد به الدلالة على جزء معناه، كأن يُطلق لفظ إنسان على حيوان فقط، أو على ناطق فقط، فهذه هي الدلالة التضمنية دلالة اللفظ على جزء ما وضع له، وهي من أقسام المجاز؛ لأنه أُطلق الكل وهو لفظ إنسان، وأريد به جزؤه، وهو أحد الجزئين، وأهل الأصول يجعلون دلالة التضمّن، وضعية وأهل المعاني، والبيان يُسمونها عقلية، وعلى كل تقدير، فهو من المجاز، ولا بد له من العلاقة، والقرينة، ...وقد يُراد باللفظ الدلالة على لازم معناه ،كما إذا أطلق إنسان، وأريد به ضاحك مثلا؛ فإنه لازم له، ودلالته عليه عقلية عند الفريقين، وهو مجاز أيضا من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم" .أهـ. انظر أصول الفقه المسمى إجابة السائل شرح بغية الآمل. محمد بن إسماعيل الصنعاني (ت: ١١٨٢هـ) تح: القاضي حسين بن أحمد السياغي، والدكتور حسن محمد مقبولي الأهدل: مؤسسة الرسالة –بيروت. الأولى، ١٩٨٦.

[٢] انظر المختار من كنوز السنة ص ٩٩ بتصرف واختصار. العلامة محمد عبد الله دراز. (مرجع سابق). قلت: مثال ذلك لفظي: الفقير والمسكين.

حمل الألفاظ على معانيها المتبادرة منها عند الإطلاق، أي: عند عدم وجود صارف يصرف عن ذلك المتبادر. وحيث لم يظهر لهم صارف للفظ (الظلم)عن إرادة العموم أبقوه على عمومه، وهو مطلق المعاصي، فاستخرج لهم النبي ﷺ ذلك الصارف من آية أخرى وفيها: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}. فالتبحر في اللغة جزء هام من علوم المفسر، ولكنه لا يُغني عن العلوم الأخرى كأصول التفسير وعلوم القرآن وأصول الفقه وغيرها.

صفوة القول:

١. تفسير القرآن بالقرآن أصل من أصول التفسير طبقه النبي ﷺ وأرشد إليه.

٢. جواز اجتهاد الصحابة في التفسير في حضرة النبي ﷺ.

٣. جواز الاجتهاد في التفسير إذا كان من أهله وفي محله.

٤. علم التفسير علمٌ قائمٌ على الدليل فلا يقبل فيه قول من غير دليل صحيح صريح.

٥. التضلع في اللغة العربية لا يكفي وحده في الجزم بالمعاني المقصودة من المفردة القرآنية، بل لا بد من الوقوف على معهود القرآن في استعمالها والمعاني الشرعية التي عبرت عنها تلك الألفاظ.

(٦) باب: هدى النبي ﷺ في التفسير بالسياق.

"عن أم مُبَشِّرٍ، أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: لا يدخل النار، إن شاء الله، من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها. قالت: بلى، يا رسول الله. فانتهرها، فقالت حفصة:﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾[مريم: ٧١] فقال النبي ﷺ: قد قال الله عز وجل:﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧٢][(١)].

من هدايات أصول التفسير المستنبطة من هذا الحديث الشريف:

أولا: في الحديث تفسير نبوي للمراد بالورود في قوله تعالى:﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾[مريم: ٧١] وأنه لا يعني الدخول، فالصحيح أن المراد بالورود في الآية المرور على الصراط، وهو جسر منصوب على جهنم، فيقع فيها أهلها، وينجو الآخرون، كما حققه الإمام النووي-رحمه الله- (ت: ٦٧٦هـ)[(٢)].

ثانياً: في الحديث أصل عام من أصول التفسير، وهو تعليم، وتقرير منهج تفسير القرآن، من خلال النظر في السياق؛ حيث أورد النبي ﷺ في تصويب فهم أم المؤمنين حفصة -رضى الله عنها-قوله تعالى:﴿ ثُمَّ نُنَجِّي

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٩٤٢). ك: فضائل الصحابة-رضي الله تعالى عنهم-. ب: من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان رضي الله عنهم. حديث رقم ٢٤٩٦.مرجع سابق.

(٢) انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٦/ ٥٨). أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي. دار إحياء التراث العربي – بيروت. الثانية: ١٣٩٢هـ.

الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾[مريم: ٧٢]، وهي الآية التالية للآية التي استشهدت بها أم المؤمنين حفصة-رضى الله عنها-. ويندرج هذا المثال تحت نوع تفسير القرآن بالقرآن بالبيان المتصل؛ فإن الآيتين المُفَسَّرة والمُفَسِّرة كل منهما وردتا في سياق واحد في سورة واحدة. فهذا الحديث الشريف أصل عظيم، لنظرية السياق التي قررها الأصوليون، والبلاغيون، وغيرهم، ولخصها الإمام الشاطبي (ت٧٩٠ هـ) -رحمه الله-في قوله: "...القضية وإن اشتملت على جُمَلٍ؛ فبعضها متعلق بالبعض؛ لأنها قضية واحدة، نازلة في شيء واحد، فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف، فإن فرّق النظر في أجزائه؛ فلا يتُوصل به إلى مراده"[(١)].

ثالثاً: في الحديث الشريف دليلٌ على جواز المناظرة، والاعتراض والجواب، في التفسير، وغيره من العلوم إذا قصد به الاسترشاد والتعلم،

---

(١) الموافقات (٤/ ٢٦٦). إبراهيم بن موسى الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ) تح: أبو عبيدة مشهور. دار ابن عفان. ط: الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م. ويبرز ابن القيم أهمية السياق قائلا: " السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة. وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته فانظر إلى قوله تعالى:﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾[الدخان: ٤٩] كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير". بدائع الفوائد (٤/ ٩). محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ). دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

وهذا كان مقصود أم المؤمنين حفصة -رضى الله عنها-كما أفاده الإمام النووي (ت٦٧٦ هـ) -رحمه الله تعالى-[1].

رابعاً: تفسير القرآن بالقرآن إذا صدر من النبي ﷺ يكون جامعًا بين الحسنيين فهو تفسير للقرآن بالقرآن وهو تفسير نبوي؛ لأنه صادر منه صلى الله عليه وسلم، فهو في أعلى المراتب ويجب الأخذ به.

صفوة القول:

١. السياق من العناصر الحاكمة في فهم النص وقد أرشد النبي ﷺ إلى هذا الأصل من خلال تطبيقه التفسيري في الحديث الشريف.

٢. المراد بأن أفضل طرق تفسير القرآن هي تفسير القرآن بالقرآن المراد به المنهج أما المخرجات التطبيقية القائمة على هذا المنهج فهي مخرجات تأخذ حكم تفسير القائم بها فتفسير القرآن بالقرآن إذا صدر عن النبي ﷺ فهو تفسير نبوي وإذا صدر عن الصحابي فهو تفسير صحابي وإذا صدر عن التابعي فهو تفسير تابعي وإذا صدر عن غير الصحابة والتابعين فهو من الاجتهاد في التفسير ولكل نوع مما سبق حكمه الخاص.

---

[1] انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٦/ ٥٨). مرجع سابق.

(٧) باب هدي النبي ﷺ في التفسير الموضوعي لآيات الأحكام.

"عن معدان بن أبي طلحة، أن عمر بن الخطاب، خطب يوم جمعة، فذكر نبي الله ﷺ، وذكر أبا بكر، ثم قال: إني لا أدع بعدي شيئا أهم عندي من الكلالة، ما راجعت رسول الله ﷺ في شيء ما راجعته في الكلالة[١]، وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيه، حتى طعن بإصبعه في صدري، وقال: " **يا عمر، ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء**." وإني إن أعش أقض فيها بقضية يقضي بها من يقرأ القرآن، ومن لا يقرأ القرآن"[٢].

من هدايات أصول التفسير المستنبطة من الحديث الشريف:

ورد في القرآن الكريم آيتان في الكلالة:

---

(١) "الكلالة" اختلف في تفسيرها، والجمهور على أنه: من مات وليس له ولد ولا والد. كما قال الحافظ في الفتح ٢١/١٢. "وإنما أخر عمر القضاء فيها؛ لأنه لم يظهر له في ذلك الوقت ظهورا يحكم به؛ فأخره حتى يتم اجتهاده فيه ويستوفي نظره، ويتقرر عنده حكمه، ثم يقضي به، ويشيعه بين الناس". انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٦/ ٥٨) مرجع سابق .

(٢) صحيح مسلم ك: الفرائض. ب: ميراث الكلالة. (٣/ ١٢٣٦) حديث رقم: ١٦١٧.مرجع سابق.

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ [النساء: ١٢].

الثانية: قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦] [(١)].

الآية الأولى فيها إجمال، ثم أنزلت الآية الأخرى، وهي التي في آخر سورة النساء، وفيها من زيادة البيان ما ليس في الأولى، لذلك أحال النبيُ ﷺ عمرَ رضي الله عنه عليها.

وفي هذه الإحالة النبوية على آية الصيف التي في آخر سورة النساء دلالات من الهدي النبوي في أصول التفسير منها:

أولًا: كان من هدي النبيُّ ﷺ أنه يُسأل عن المسائلِ، فيُحيلُ على القرآنِ الكريم؛ تعليمًا لأمته أن أولى طرق التفسير هي تفسير القرآن بالقرآن. وهاتان الآيتان من آيات الأحكام، وهي إشارة نبوية للفهم الموضوعي لآيات القرآن الكريم عامة، وآيات الأحكام على وجه الخصوص.

---

(١) "أجمع الصحابة رضي الله عنهم على أن المراد من الإخوة والأخوات في الآية الأولى الإخوة لأم والأخوات لأم، كما أجمعوا على أن المراد بالإخوة في آخر السورة الأشقاء ثم لأب. انظر زهرة التفاسير (٣/ ١٦٠٦). محمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ). دار الفكر العربي.

وهذه الإحالة النبوية الشريفة أرى أنها تُؤسس لمنهج التفسير الموضوعي للموضوع القرآني عامة، ولآيات الأحكام خاصة. والله تعالى أعلم.

ثانيًا: أن الاعتناء بالاستنباط من القرآن الكريم من آكد الواجبات المطلوبة؛ وقد علل الإمام النووي(ت: ٦٧٦هـ)[١] – رحمه الله تعالى– إغلاظ النبي ﷺ لعمر بن الخطاب من خوف اتكال عمر رضي الله عنه وغيره على ما نُص عليه صريحًا وتركهم الاستنباط من النصوص وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] ؛ فالاعتناء بالاستنباط من آكد الواجبات المطلوبة؛ ؛ لأن النصوص الصريحة لا تفي إلا بيسير من المسائل الحادثة؛ فإذا أهمل الاستنباط؛ فات القضاء في معظم الأحكام النازلة، أو في بعضها. والله أعلم"[٢].

ثالثًا: يُنبه هذا الحديث الشريف إلى بابٍ من فهم القرآن الكريم، وهو ضم نص إلى نص آخر متعلق به؛ فيفهم من اقترانه به قدرًا زائدًا على ذلك

---

[١] "يحيى بن شرف الشيخ الإمام العلامة محيي الدين أبو زكريا الحزامي النووي الحافظ الفقيه الشافعي النبيل، محرر المذهب ومهذبه وضابطه ومرتبه، أحد العباد والعلماء الزهاد، ولد في العشر الأواسط من المحرم سنة إحدى وثلاثين وست مائة، ونشأ ببلده نوى، وكان يتوسم فيه النجابة من صغره، ...وكان يقرأ في اليوم اثني عشر درسًا على المشايخ شرحًا وتصحيحًا وبورك له في وقته –رحمه الله–وتقبل منه له مؤلفات عم النفع بها كرياض الصالحين وغيره". طبقات الشافعيين (ص: ٩١٠) أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت: ٧٧٤هـ) تح: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب. مكتبة الثقافة الدينية ١٤١٣ هـ –١٩٩٣ م.

[٢] انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١١/ ٥٧، ٥٨). مرجع سابق.

اللفظ بمفرده، "وهذا باب عجيب من فهم القرآن لا يتنبه له إلا النادر من أهل العلم؛ فإن الذهن قد لا يشعر بارتباط هذا بهذا، وتعلقه به، وقد أرشد النبي ﷺ عمر رضي الله عنه إلى هذا الفهم؛ حيث سأله عن الكلالة، وراجعه السؤال فيها مرارًا، فقال: يكفيك آية الصيف "[1].

قلت: **قد أثمر هذا المنهج النبوي الشريف؛ إذ وجدنا الصحابة – رضوان الله عليهم–بعد لحوقه ﷺ بالرفيق الأعلى، – وقد فتحت عليهم البلاد، واستجدت أمورٌ ووقائعُ؛ تحتاج إلى استنباط أحكام لها من القرآن الكريم، والسنة المطهرة– ظهرت براعتهم في استنباط الأحكام ؛ ومن ذلك استنباط عمر رضي الله عنه حكم تقسيم أراضي البلاد التي فُتحت في عهده، فقد استنبط أنها تُوزع فيئًا لا غنيمة؛ وحصل له ذلك الاستنباط من الجمع بين آيات توزيع الغنائم في سورة الأنفال، وآيات توزيع الفيء في سورة الحشر، فعن عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه أنه جمع أناسًا من المسلمين، فقال: إني أريد أن أضع هذا الفيء موضعه، فليغدُ كل رجل منكم عليَّ برأيه، فلما أصبحَ قال: إني وجدت آية من كتاب الله تعالى– أو قال: آيات – لم يترك الله أحدًا من المسلمين له في هذا المال شيء إلا قد سماه. قال الله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٤١] قال: فهذه لهؤلاء، ثم قرأ: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ**

---

[1] انظر إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣/ ١٢٦) أبو عبد الله أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١ هـ) تح: أبو عبيدة مشهور. دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية. ط: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ [الحشر: ٧] ثم قرأ ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ﴾ [الحشر: ٨] [الحشر: ٨] فهذه للمهاجرين، ثم قال: هذه للأنصار، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠] ، ثم قال: (فاستوعبت هذه الآية الناس)[١]، فليس في الأرض مسلمٌ إلا له في هذا المال حق أعطيه أو حرمه.[٢]

رابعاً: يُستنبط من هذا الحديث الشريف أن ترتيب الآيات توقيفي؛ فإن آخر آيات سورة النساء هي آية الكلالة، كما نص الحديث الشريف،

---

[١] أي: "عامة المسلمين كلهم أي فالفيء لهم عموما لا يخمس ولكن يكون جملة لمصالح المسلمين وهذا مذهب عامة أهل الفقه". انظر حاشية السندي على سنن النسائي (٧/ ١٣٦). محمد أبو الحسن، السندي (ت: ١١٣٨هـ) مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب.ط. الثانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

[٢] أخرجه عبد الرزاق في مصنفه مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٤/ ١٥٢) رقم الحديث: (٧٢٨٧) أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني (ت: ٢١١هـ) تح: حبيب الرحمن الأعظمي. المجلس العلمي–الهند. المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٣. وهو في سنن أبي داود. (٤/ ٥٨٦). أبو داود سليمان السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ) تح: شعَيب الأرناؤوط –محَمَّد كامِل قره بللي: دار الرسالة العالمية.ط. الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م وقال محققه: "رجاله ثقات، إلا أنه منقطع، فإن الزهري لم يدرك عمر بن الخطاب، لكن قول عمر في آخره: لم يبق أحد من المسلمين إلا له فيها حق إلا بعض من تملكون من أرقائكم، صحيح، سمعه الزهري من مالك بن أوس بن الحدثان...".

ويترتب على ذلك مشـروعية بحث المفسـر عن الحكمة الإلهية في ترتيب الآيات، وهو ما اصطلح على تسميته علم المناسبات بين الآيات.

صفوة القول:

١. الأصل في آيات الأحكام أن النبي ﷺ بيّنها للصحابة ﷺ يُفهم هذا من صنيع عمر ﷺ فلم يذكر ما أشكل عليه من أحكام القرآن سوى الكلالة.

٢. شهادة النبي ﷺ لعمر أنه من أهل الاستنباط ذلك أنه أرشده إلى الآية محل استنباط ما يزيل ما أشكل عليه في أمر الكلالة، وهو توجيه لكل من هو من أهل الاستنباط أن يقوموا بواجبهم الكفائي في استنباط ما تحتاجه الأمة في شؤونها من القرآن الكريم.

٣. علم التفسير الموضوعي، وعلم المناسبات بين الآيات مؤسس على أدلة قوية من حديث الرسول ﷺ.

(٨) باب: هدي النبي ﷺ في أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

الحديث الأول:

"عن ابن مسعود ﷺ: أن رجلًا أصاب من امرأة قبلةً، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فأنزلت عليه:﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾[هود: ١١٤] قال الرجل: ألي هذه؟ قال: «لمن عمل بها من أمتي».[١] وفي رواية لمسلم: "فقال رجل من القوم: يا نبيّ الله، هذا له خاصّة؟ قال: بل للنّاس كافّة"[٢].

من هدايات أصول التفسير المستنبطة من الحديث الشريف:

هذا السؤال مقتضاه أيختص حكم هذه الآية بالشخص الذي كان فِعْلُهُ سببًا لنزولها، أم العبرة بعموم لفظ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[هود: ١١٤]؟ فقال له النبي ﷺ: «لمن عمل بها من أمتي». وهذا السؤال وجوابه نصٌ صريح في أَنَّ العِبْرَةَ بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب. واستنبط الإمام ابن عاشور (ت: ١٣٩٣ هـ) –رحمه الله–أن قوله تعالى:﴿ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾أفاد العموم نصًا "[٣].

---

[١] صحيح البخاري كتاب: تفسير القرآن. باب: قوله: {: وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل، إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين} [هود: ١١٤] (٦/ ٧٥) ". حديث رقم: ٤٦٨٧. مرجع سابق.

[٢] صحيح مسلم كتاب: التوبة باب: قوله تعالى﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾[هود: ١١٤] (٤/ ٢١١٦) حديث رقم: ٢٧٦٣ مرجع سابق.

[٣] انظر التحرير والتنوير (١٢/ ١٨١) مرجع سابق.

الحديث الثاني:

"عن علي بن أبي طالب ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ بِنْتَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً، فَقَالَ: «أَلاَ تُصَلِّيَانِ؟» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَانْصَرَفَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلٍّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ، وَهُوَ يَقُولُ:﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾[الكهف: ٥٤] [(١)].

من هدايات أصول التفسير المستنبطة من الحديث الشريف:

إيراد النبي ﷺ قوله تعالى:﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ في مقام التعجب من رد علي ﷺ؛ يُفيد أنها وإن نزلت في الكفار، فإن عموم لفظها شامل لقول علي ﷺ: "إن أرواحنا بيد الله، إن شاء أن يبعثنا بعثنا". وقد دلت آيات أخر على أن من الجدل ما هو محمود مأمور به لإظهار الحق.

وسياقها دليل كونها نازلة في الكفار؛ ففي أولها:﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾[الكهف: ٥٤] وكان من مظاهر جدلهم قولهم عن القرآن مرة إنه أساطير الأولين، ومرة إنه من تعليم بشر، أو سحر، أو كهانة، أو شعر. واسُتنبط من سياق استشهاد النبي ﷺ بالآية الكريمة في الحديث الشريف " ترجيح قول: من قال: إن اللام في قوله:﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ ﴾للعموم لا لخصوص الكفار"[(٢)].

---

(١) صحيح البخاري. ك: التهجد. ب: تَحْرِيضِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى صَلاَةِ اللَّيْلِ وَالنَّوَافِلِ مِنْ غَيْرِ إيجاب. (٢/ ٥٠) حديث رقم: ١١٢٧.مرجع سابق.

(٢) فتح الباري لابن حجر (٣/ ١١) مرجع سابق .

صفوة القول:

الرجوع بقاعدة (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) إلى دليلها النقلي في الحديث الشريف؛ يقطع دابر من يشكك فيها؛ فهي لا تقوم على الدليل العقلي وحده، بل لها دليل نقلي، صحيح السند قطعي الدلالة، فضلًا عن مضمون القرآن الذي يؤكد من أوله إلى آخره أنه لأهل كل زمان ومكان. وهذا التأصيل يقتلع نظرية (تاريخية النص) الاستشراقية من جذورها تلك النظرية التي يحاولون بها جعل القرآن الكريم نصاً تاريخًيا خاصاً بزمان نزوله. فقاعدة (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) ليس لعلماء الأمة فيها إلا صياغتها بهذه العبارة المتينة أما معناه وحقيقتها فهي وحي إلهي خالص بلغه من لا ينطق عن الهوى: (... بل هي للناس كافة)، (لمن عمل بها من أمتي)

(٩) باب: هدي النبي ﷺ في مراعاة ترتيب ألفاظ القرآن الكريم عند استنباط المعاني والأحكام.

"عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: حِينَ خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ وَهُوَ يُرِيدُ الصَّفَا، وَهُوَ يَقُولُ: نَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِه فَبَدَأَ بِالصَّفَا".[١]

من هدايات أصول التفسير المستنبطة من الحديث الشريف:

أولاً: هذا الحديث الشريف أصلٌ عظيمٌ لقاعدة التقديم والتأخير المتفق عليها.

ومحصل هذه القاعدة أن ما يسوغ في أصل التركيب تقديمه، وتأخيره، لا يقدم في الكلام البليغ إلا لنكتة؛ فإذا قال البليغ: «ادع زيدًا وبكرًا» فلم يقدم زيدًا إلا لنكتة. قال سيبويه(ت ١٨٠)[٢]: "...كأنهم يقدمون الذي بيانه

---

[١] موطأ مالك ت عبد الباقي (١/ ٣٧٢) مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ) صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان عام النشر: ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٥ م.

[٢] أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي وهي نسبة الى الحارث بن كعب قبيلة يمنية وهذه النسبة بالولاء فقد كان سيبويه فارسيا فأما لقبه فسيبويه وقد غلب عليه وهو فارسي مركب مزجي من سيب أي التفاح وبوى أي الرائحة فمعناه رائحة التفاح شيخ النحاة وصاحب الكتاب في النحو توفي ١٨٠ هـ. انظر ترجمته في: طبقات النحويين واللغويين (ص: ٦٦) (سلسلة ذخائر العرب ٥٠) ط. محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر (ت: ٣٧٩هـ) تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. الثانية. دار المعارف.

أهم لهم، وهم ببيانه أعني، وإن كانا جميعا يهمّانهم ويعنيانهم"[1]. ويؤصل بالتالي لمراعاة المفسر ترتيب ألفاظ القرآن الكريم عند استنباط الأحكام من الآيات وبصورة أوسع مراعاة فقه تناسب ترتيب سور القرآن، وآياته؛ فقد استشهد النبي ﷺ على تحديد ما يُبدأ به السعي، من كون ترتيب جبل الصفا جاء في الذكر أولًا؛ حيث قال سبحانه وتعالى:﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]. فالترتيب القرآني سورًا وآيات وكلمات، ينبغي أن يكون محل عناية تامة من المفسر، عند استنباط

---

[1] شرح كتاب سيبويه (١/ ٢٦٣). أبو سعيد السيرافي (ت: ٣٦٨ هـ) تح: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.ط: الأولى، ٢٠٠٨ م. قال السهيلي عن عبارة سيبويه إنها: " كلام مجمل يحتاج إلى بسط وتبيين. فيقال: متى يكون أحد الشيئين أحق بالتقديم ويكون المتكلم ببيانه أعنى؟ والجواب: أن هذا أصل يجب الاعتناء به، لعظم منفعته في كتاب الله تعالى. وحديث رسوله ﷺ إذ لا بد من الوقوف على الحكمة في تقديم ما قدم في القرآن وتأخير ما أخر، كنحو: (السمع والبصر). و (الظلمات والنور)، و (الليل والنهار) و (الجن والإنس) في أكثر الآي.وفي بعضها: (الإنس والجن) وتقديم السماء على الأرض في الذكر، وتقديم الأرض عليها في بعض الآي ونحو قوله تعالى: (سميع عليم)، ولم يجئ: (عليم سميع)، وكذلك: (عزيز حكيم)، و (غفور رحيم)، وفي آية أخرى: (الرَّحِيمُ الْغَفُورُ) إلى غير ذلك مما لا يكاد ينحصر، وليس شيء من ذلك يخلو عن فائدة وحكمة، لأنه كلام الحكيم الخبير. انظر نتائج الفكر في النحو (ص: ٢٠٨) وما بعدها. وقال السهيلي في ختام النماذج التي شرحها: "...فمن لحظ هذه المعاني بقلبه، وتدبر هذا النظم البديع بلُبِّه، ترفع في معرفة الإعجاز عن التقليد، وأبصر بعين اليقين أنه تنزيل من حكيم حميد". نتائج الفكر في النحو (ص: ٢١٥). أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي (ت: ٥٨١هـ) دار الكتب العلمية – بيروت. ط. الأولى: ١٤١٢ –١٩٩٢ م.

المعاني، وتقرير الأحكام، وهذا الحديث حجة للمفسر في البحث عن أنواع المناسبات[1] بين السور، والآيات؛ فترتيب سور القرآن الكريم، وآياته نابع من حكمة إلهية، في هذا الترتيب المشتمل على تقديم، وتأخير، وفي البحث عن تلك الحكمة نوع من الاجتهاد في تحصيل أوجه من هداية القرآن وإعجازه.

كما ينبغي مراعاة ما ورد من أوجه قراءات متواترة فيها تقديم وتأخير؛ لتكتمل الصورة أمام المفسر قبل استنباط المعنى، أو الحكم مستندًا لملحظ التقديم والتأخير فيها، مثل القراءات في قوله تعالى: "﴿وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا ﴾ [آل عمران: ١٩٥] وفي التوبة ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ [التوبة: ١١١] فقرأ حمزة والكسائي، وخلف بتقديم (قتلوا) وتقديم (يقتلون) الفعل المجهول فيهما. وقرأ الباقون بتقديم الفعل المسمى الفاعل فيهما"[2].

---

(١) علم المناسبة: " هو علمٌ تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن ". راجع نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١/ ٦). قال السيوطي: " وثمرة المناسبة: الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه، وما أمامه من الارتباط والتعلّق الذي هو كلُحمة النسب، ... وهو سرّ البلاغة؛ لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال ... ولذا كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير، نسبة علم البيان من النحو " أسرار ترتيب القرآن (ص: ٥). عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ). دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

(٢) النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٤٦). شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، (ت: ٨٣٣ هـ) تح: علي محمد الضباع (ت: ١٣٨٠ هـ) المطبعة التجارية الكبرى.

ثانياً: أثر هذا الهدي النبوي في مناهج الاستنباط الفقهي لأحكام القرآن:

- **عند الإمام الشافعي (ت٢٠٤ هـ):استدل -رحمه الله- بهذا الحديث الشريف على وجوب الترتيب في أعضاء الوضوء كما ورد ذكرها في آية الوضوء فقال "...توضأ رسول الله ﷺ كما أمره الله -عز وجل- وبدأ بما بدأ الله تعالى به قال فأشبه -والله تعالى أعلم -أن يكون على المتوضئ في الوضوء شيئان أن يبدأ بما بدأ الله ثم رسوله -عليه الصلاة والسلام -به منه ويأتي على إكمال ما أمر به، فمن بدأ بيده قبل، وجهه أو رأسه قبل يديه أو رجليه قبل رأسه كان عليه عندي أن يعيد حتى يغسل كلًا في موضعه بعد الذي قبله، وقبل الذي بعده لا يجزيه عندي غير ذلك، وإن صلى أعاد الصلاة بعد أن يُعيد الوضوء ...وإنما قلت يُعيد كما قلت، وقال غيري: في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٥٨] فبدأ رسول الله ﷺ بالصفا وقال: نبدأ بما بدأ الله به. ولم أعلم خلافا أنه لو بدأ بالمروة؛ ألغى طوافا حتى يكون بدؤه بالصفا..."[(١)].**
- **عند الإمام ابن حزم (ت ٤٥٦هـ): قال-رحمه الله-في قوله ﷺ: "نبدأُ بِمَا بَدَأَ اللَّـهُ بِـه"، "وهذا عموم لا يجوز أن يُخص منه شيء"[(٢)]. وقال العلامة الصنعاني (ت ١١٨٢هـ) -رحمه الله-في**

---

(١) الأم للشافعي (١/ ٤٥) الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت: ٢٠٤هـ). دار المعرفة – بيروت. بدون طبعة: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢) المحلى بالآثار (١/ ٣١١). أبو محمد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ). دار الفكر – بيروت. بدون طبعة وبدون تاريخ.

شرح الحديث: "أفاد أن ما بدأ الله به ذكرًا نبتدئ به فعلا؛ فإن كان كلامه كلام حكيم لا يبدأ ذكرًا إلا بما يستحق البداءة به فعلا؛ فإنه مقتضى البلاغة؛ ولذا قال سيبويه: إنهم –أي: العرب–يُقدمون ما هم بشأنه أهم وهم به أعنى، فإن اللفظ عام، والعام لا يقتصر على سببه، أعني بما بدأ الله به؛ لأن كلمة " ما " موصولة، والموصولات من ألفاظ العموم"[1].

- **<u>عند الإمام أبي الوفاء بن عقيل الحنبلي (ت: ٥١٣هـ):</u>**

أورد –رحمه الله–إشكالاً على هذا الاستدلال، وأجاب عنه فقال: "استدلالنا في إيجاب الترْتيب في الطهارةِ بقوله: "ابدَؤُوا بما بَدَأ الله بهِ"، فقالوا: هذا وَرد في السَعْيِ بين الصفا والمَرْوَةِ، وأرادَ به ابدؤُوا فِعْلا بما بدأَ الله به قولًا، فوجبَ الترتيبُ حيثُ ورد، وفيما ورد، ولا يُحْمَلُ على غيرِهِ إلا بدَلالَةٍ.

- **<u>والجواب</u>:**

أن اللفظَ صالح لإيجابِ الابتداء بكل ما بدأ الله به، وصالحٌ أن يكون معللاً بكونِ الله–سبحانه–بدأَ به، وفي ذلك معقول، وهو أنه ما بدأ به إلا وهو الأوْلى عندَه–سبحانه–في الفِعْلِ، فإذا

---

[1] **سبل السلام (١/ ٧٣). محمد بن إسماعيل الصنعاني (ت: ١١٨٢هـ). دار الحديث. بدون طبعة وبدون تاريخ.**

جاء في طَيِّ الأمرِ المطلق، اقتضى ما اقتضاهُ الأمرُ المطلق، فلا يُتْرَكُ عمومُ اللفْظ لخصوصِ السبب"[1].

ثالثاً:

يُؤصل هذا الاستدلال النبوي الشريف، لقاعدة البحث عن معهود أسلوب القرآن الكريم في التقديم، والتأخير، والتعبير، واستخدام نتائج البحث في ذلك للترجيح بين الأقوال.

رابعاً:

يُؤصل هذا الاستدلال النبوي الشريف، لعلم توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم الذي يشتمل على تقديم لفظة في آية وتأخيرها في آية أخرى.

صفوة القول:

أن ترتيب كلمات القرآن الكريم أصل معتبر في استنباط المعاني والأحكام.

---

[1] **الواضح في أصول الفقه (٢/ ١٦٩، ١٧٠). أبو الوفاء، علي بن عقيل (ت: ٥١٣هـ) تح: عَبد الله بن عَبد المُحسن التركي. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان. الأولى، ١٤٢٠ هـ –١٩٩٩ م.**

(١٠) باب: مشروعية البحث عن المناسبات بين الآيات، وتقسيم المفسر السورة القرآنية إلى مقاطع موضوعية، والربط بينها.

"عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج» ثلاثًا غير تمام. فقيل لأبي هريرة: إنا نكون وراء الإمام؟ فقال: «اقرأ بها في نفسك»؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: " قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢] ، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة: ٣] ، قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤] ، قال: مجدني عبدي – وقال مرة فوض إلي عبدي – فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥] قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦-٧] قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل"[(١)].

هداية أصول التفسير المستنبطة من الحديث الشريف:

لفظ (الصلاة) في الحديث القدسي أُطلق، ويُراد به سورة الفاتحة؛ لمكانتها من فريضة الصلاة؛ يدل على ذلك ألفاظ الحديث؛ فليس فيه إلا آيات سورة الفاتحة، كما تدل على ذلك رواية أخرى عن أبي بن كعب رضي الله عنه:

[(١)] صحيح مسلم. ك: الصلاة. ب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وإنه إذا لم يحسن الفاتحة، ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها. (١/ ٢٩٦) حديث رقم: ٣٩٥. مرجع سابق.

"قال: قال: رسول الله ﷺ ما في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن، وهي السبع المثاني، وهي مقسومة بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل"[1].وقول الله –جل ثناؤه–في الحديث القدسي: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين) يقاس عليه، أن للمفسر أن يجتهد في الفهم الموضوعي لآيات السورة، وتقسيمها إلى مقاطع موضوعية بغرض التفسير، والربط بين تلك المقاطع، وإظهار مناسباتها.

وقد أبلى العلامة الدكتور محمد عبد اللّه دراز –رحمه الله–بلاء حسنًا في تفسيره لسورة الفاتحة؛ حين قسمها موضوعيًا إلى شطرين أما شطرها الأول فأطلق عليه (الجانب الإلهي من مقاصد القرآن) وأما شطرها الثاني فأطلق عليه (الجانب الإنساني من مقاصد القرآن) ثم بيّن العلاقة بينهما بطريقة رائعة كعادته –رحمه الله – وكأنه يُترجم ما جاء في الحديث القدسي عن سورة الفاتحة (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين) ولا يتسع المقام هنا لبسط صنيعه الماتع حول هذه السورة المباركة[2].

وأعتقد أن هذا الاستنباط من هذا الحديث القدسي يُرجح كفة القائلين بالبحث عن المناسبات بين الآيات، والوحدة الموضوعية في السورة القرآنية،

---

[1] الأحاديث المختارة = المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما (٣/ ٤٣١ حديث رقم١٢٣٢. ضياء الدين أبو عبد الله المقدسي (ت: ٦٤٣هـ) تح: عبد الملك دهيش. دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الثالثة، ١٤٢٠ هـ –٢٠٠٠ م.

[2] للتوسع ينظر كتاب " الإمام محمد عبد الله دراز ونظراته في فاتحة الكتاب الحكيم. دراسة وصفية تحليلية". ط مكتبة الإيمان. ٢٠١٩. د/ عماد محمود محمود عبد الكريم.

على كفة من يراه نوعًا من التكلف، لا دليل عليه. فهناك خلاف قديم، بين العلماء، حول جدوى دراسة المناسبات[(١)] بين الآيات، داخل السورة الواحدة، فأكثر المفسرين على أن المناسبات بين الآيات، علمٌ مِنْ أهم علوم القرآن الكريم، واعتناء المفسر به؛ يُظهر الكثير من أسرار المعاني، في آيات الذكر الحكيم، وقليلٌ منهم ذهب إلى أن البحث عن المناسبات بين الآيات، هو ضرب من التكلف، ومن هؤلاء الإمامين: العز بن عبد السلام (ت ٦٠٦هـ)[(٢)]، والشوكاني (ت١٢٥٠ هـ)[(٣)] ، وقد حمل الأخير حملةً شديدة على تفسير " نظم الدرر في تناسب الآي والسور " للإمام البقاعي(ت:٨٨٥ هـ)، وحجة هذا الفريق: أن القرآن نزل مفرقًا على حسب الحوادث المقتضية لنزوله على مدار أعوام الوحي، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض مع اختلاف العلل والأسباب. وقد أجاب جمهور العلماء عن ذلك جوابًا حاسمًا فقالوا: إن آيات

---

(١)" المناسبة في اللغة: المقاربة والمشاكلة. وفي الاصطلاح: هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه. وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها. وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها ". مباحث في التفسير الموضوعي (ص: ٥٨). مصطفى مسلم. دار القلم. الرابعة ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ٦٣/١. والعزّ بن عبد السلام هو:" عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم. الإمام سلطان العلماء عز الدين السلمي القاهري الشافعي. صاحب الشهرة الحسنة والمؤلفات المتقنة كالقواعد ومجاز القرآن والفتاوى المصرية والموصلية. توفي سنة ٦٦٠. انظر: ديوان الإسلام (٢٩٠/٣). شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (المتوفى: ١١٦٧هـ) تح: سيد كسروي حسن.

(٣) انظر تفسيره فتح القدير ٧٢/١، ٧٣. محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ). دار ابن كثير، دار الكلم الطيب -دمشق، بيروت. الأولى -١٤١٤ هـ.

القرآن " كانت على حسب الوقائع تنزيلًا، وعلى حسب الحكمة ترتيبًا وتأصيلًا، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ، مرتبةٌ سورهُ كلُّها، وآياته بالتوقيف" [(١)].

هذا فيما يخص المناسبات بين الآيات، أما الوحدة الموضوعية أو النظام المجموعي للآيات داخل السورة، فمسألة أوسع من المناسبات الجزئية بين الآيات المتجاورة؛ يُوضح الدكتور دراز –رحمه الله– (ت ١٣٧٧هـ) الفرق بينهما فيقول:" السياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآني تقضي... ألا يتقدم الناظر إلى البحث في الصلات الموضعية بين جزء جزء منه–وهي تلك الصلات المبثوثة في مثاني الآيات ومقاطعها–إلا بعد أن يُحكم النظر في السورة كلها بإحصاء أجزائها وضبط مقاصدها على وجه يكون معوانًا له على السير في تلك التفاصيل عن بينة "[(٢)].

صفوة القول:

السورة القرآنية تقوم على نظام دقيق ترتبط فيه مقاطعها بمناسبات، وتفاوت مراتب المفسرين في الاهتداء لهذا النظام والكشف عن مناسبات تلك المقاطع لا يتعارض مع تلك الحقيقة ولا ينفي وجودها ويحث المفسرين عنها نوع من الاجتهاد تُطبق عليه شروط الاجتهاد في التفسير.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (٥/ ١٨٣٩). عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ) تح: مركز الدراسات القرآنية. مجمع الملك فهد البلد: السعودية. ط. الأولى.

(٢) مدخل إلى القرآن الكريم ص ١٢٨ بتصرف واختصار. مدخل إلى القرآن الكريم. – عرض تاريخي وتحليل مقارن –محمد عبد الله دراز. ترجمة محمد عبد العظيم. تقديم أ د السيد محمد بدوي . ط. دار القلم بالكويت. الخامسة ١٤٢٤هـ –٢٠٠٢م.

(١١) باب: مشروعية بحث المفسر عن المناسبات الخاصة بين السور المتجاورة.

الحديث الأول:"عن أبي أمامة الباهلي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " اقرءوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرءوا **الزهراوين** البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غَمَامَتَانِ، أو كأنهما غَيَايَتَانِ، أو كأنهما فِرْقَانِ من طير صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها الْبَطَلَةُ ". قال معاوية: بلغني أن البطلة: السحرة"[١].

"وفي رواية عن النواس بن سمعان الكلابي، يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: "يؤتى بالقرآن يوم القيامة، وأهله الذين كانوا يعملون به تَقَدمه سورة البقرة، وآل عمران"، وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد،

---

[١] صحيح مسلم. ك: صلاة المسافرين وقصرها ب: فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة. (١/ ٥٥٣) حديث رقم ٨٠٤ مرجع سابق.

شرح الحديث:"(الزهراوين) سميتا الزهراوين لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما (كأنهما غمامتان أو إنهما غيايتان) قال أهل اللغة الغمامة والغياية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه سحابة وغيرة وغيرهما قال العلماء المراد أن ثوابهما يأتي كغمامتين (كأنهما فرقان من طير صواف) وفي الرواية الأخرى كأنهما حزقان من طير صواف الفرقان والحزقان معناهما واحد وهما قطيعان وجماعتان يقال في الواحد فرق وحزق وحزيقة وقوله: من طير صواف جمع صافة وهي من الطيور ما يبسط أجنحتها في الهواء (تحاجان عن أصحابهما) أي تدافعان الجحيم والزبانية وهو كناية عن المبالغة في الشفاعة (ولا يستطيعها) أي لا يقدر على تحصيلها" من شرح العلامة محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم. هامش المرجع السابق نفسه.

قال: "كأنهما غمامتان، أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ، عن صاحبهما"[١].

الحديث الثاني: "عن عقبة بن عامر، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أنزل، أو أنزلت علي آيات لم ير مثلهن قط، الْمُعَوِّذَتَيْنِ". "[٢].

وجه الدلالة: في الحديثين الشريفين:

ورد مصطلح (الزهراوين) لقبًا مشتركًا لسورتي البقرة وآل عمران (اقرءوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران) ويُستنبط من ذلك أن بين السورتين من التناسب الخاص ما جعلهما يشتركان في لقب نبوي واحد، يحمل وصفًا ملؤه الثناء والمدح؛ فإذا كان لقب (الزهراوين) دفع العلماء للبحث عن القدر المشترك بين السورتين، من الصفات، والخصائص بما يناسب هذا اللقب، فأرى في ذلك أيضًا فتحٌ نبوي للبحث عن الخصائص التي تجمع بين كل سورتين متجاورتين، جعلت كل منهما أولى بأن تكون جارة للأخرى خاصة أن ترتيب السور -كما هو الصحيح توقيفي[٣] من الحكيم

---

[١] صحيح مسلم. ك: صلاة المسافرين وقصرها. ب: فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة (١/ ٥٥٤) حديث رقم ٨٠٥.

[٢] صحيح مسلم. كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل قراءة المعوذتين (١/ ٥٥٨) حديث رقم ٨١٤.مرجع سابق.

[٣] قال الإمام الآلوسي: "الذي ينشرح له صدر هذا الفقير هو ما انشرحت له صدور الجمع الغفير من أن ما بين اللوحين الآن موافق لما في اللوح من القرآن وحاشا أن يهمل -صلى الله تعالى عليه وسلم- أمر القرآن وهو نور نبوته وبرهان شريعته؛ فلا بد إما: من التصريح بمواضع الآي والسور، وإما: من الرمز إليهم بذلك وإجماع الصحابة في المآل على هذا الترتيب وعدولهم عما كان أولا من بعضهم على غيره

العليم ﷻ؛ فالبحث عن تناسب التجاور بين السور الكريمة، هو بحث عن نوع من حكمة الله في كتابه الكريم. وكذلك الأمر في الحديث الثاني، وما ورد فيه من لقب(المعوذتين) كلقب مشترك لسورتي (الفلق والناس)؛ يُظهر وجه التناسب بين هاتين السورتين المتجاورتين. وكم كنت أتمنى–وليس كل ما يتمناه المرء يُدركه–أن أعرض هذا الاستنباط في التأصيل لدراسة التناسب بين السور على الإمام العلامة الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) –رحمه الله–الذي صرح بقوله: " .... أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض، فلا أراه حقا على المفسر"[1]؛ لأسعد برأيه فيه، فكم فات العلماء وطلاب العلم من دقيق تأملاته في باب التناسب بين السور؛ لو أنه ولجه، عليه شآبيب الرحمة والغفران.

صفوة القول:

ترتيب سور القرآن الكريم قائم على التوقيف والوحي وبحث المفسرين عن أسرار هذا الترتيب هو بحث عن حكمة الله الحكيم في هذا الترتيب وهو عمل اجتهادي من المفسرين تتفاوت فيه مراتبهم وتطبق عليه شروط الاجتهاد في التفسير.

من الأساليب، وهم الذين لا تلين قناتهم لباطل، ولا يصدهم عن اتباع الحق لوم لائم ولا قول قائل، أقوى دليل على أنهم وجدوا ما أفادهم علما، ولم يدع عندهم خيالا ولا وهما..." انظر توسع العلامة الآلوسي في تحقيق المسألة في: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/ ٢٨). شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) تح: علي عبد الباري عطية. دار الكتب العلمية – بيروت. الأولى، ١٤١٥ هـ.

[1] التحرير والتنوير (١/ ٨) مرجع سابق.

(١٢) باب مشروعية البحث عن التناسب العام بين سورة مفردة، وبين باقي سور القرآن الكريم، وهو ما يمكن تسميته بـ (موقع السورة من النظام المجموعي لسور القرآن الكريم).

الحديث الأول:

"عن عبادة بن الصامت: أن رسول الله ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»[(١)].

الحديث الثاني:

عن أبي هريرة ﷺ ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم"[(٢)].

وجه الدلالة في الحديثين الشريفين:

تسمية أم القرآن (بفاتحة الكتاب) فيه ما يهدي إلى الكشف عن وجه من التناسب بين سورة الفاتحة، وبين باقي سور القرآن الكريم؛ وهو أنها تُمثل براعة استهلال فهي دعاء تمثلت إجابته في سائر سور القرآن الكريم؛ فقد جاء فيها﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[الفاتحة: ٦]. وجاء في السورة التي تليها﴿ الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾[البقرة: ١-٢]. ومن خصائص سورة الفاتحة أنك إذا قرأت بعدها أي سورة من سور القرآن

---

(١) صحيح البخاري. ك: الأذان. ب: وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، في الحضر والسفر، وما يجهر فيها وما يخافت (١/ ١٥١) حديث رقم: ٧٥٦.

(٢) صحيح البخاري ك: تفسير القرآن. ب: قوله: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧] (٦/ ٨١) حديث رقم ٤٧٠٤. مرجع سابق.

تجد بينهما مناسبة خاصة. وتسمية النبي ﷺ سورة الفاتحة بـ (أم القرآن) فيه ما يُشعر بوجه آخر من التناسب بينها، وبين باقي سور القرآن الكريم، وقد تحدث المفسرون في هذا، واجتهدوا في استخراج حكمته، ودارت معظم أقوالهم حول كون سورة الفاتحة تُمثل أصل معاني القرآني الذي ترجع إليه[1].

صفوة القول:

في الاسمين التوقيفيين لسورة الفاتحة؛ (الفاتحة – أم القرآن) فتح نبوي خاص للبحث عن التناسب بين سورة الفاتحة، وباقي سور القرآن الكريم جملة، وبين سورة الفاتحة وباقي سور القرآن سورة سورة، وفتح عام للبحث عن المناسبة بين كل سورة مفردة من سور القرآن الكريم، وبين باقي السور، والاجتهاد في كشف منزلتها في النظام العام لترتيب سور القرآن الكريم.

---

[1] ينظر في ذلك التحرير والتنوير (١/ ١٣٣) مرجع سابق.

(١٣) باب: استنباط وجه اعتبار أقوال الصحابة ﷺ مصدراً في التفسير.

"قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: لَيْسَ الْمُعَايِنُ كَالْمُخْبَرِ، أَخْبَرَ اللَّهُ مُوسَى أَنَّ قَوْمَهُ فُتِنُوا فَلَمْ يُلْقِ الْأَلْوَاحَ، فَلَمَّا رَآهُمْ أَلْقَى الْأَلْوَاحَ"[١].

تأصيل: في هذا الحديث الشريف؛ بيانٌ لسنة من سنن الله، في النفس البشرية، وهي أن تأثرها بالرؤية المباشرة، أكثر من تأثرها بالسماع؛ فإن للمعاينة حال ليست للسماع؛ لذا طلب إبراهيم-عليه السلام-رؤية كيفية إحياء الموتى، وعلة ذلك ﴿...وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

---

[١] صحيح ابن حبان -محققا (١٤/ ٩٧) وقال محققه: " إسناده صحيح على شرط مسلم. رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي داود: سليمان بن داود الطيالسي، فمن رجال مسلم. أبو عوانة هو: الوضاح اليشكري". الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت: ٧٣٩ هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت. ط. الأولى، ١٤٠٨ هـ -١٩٨٨ م.

وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي. ك: التفسير. تفسير سورة طه بسم الله الرحمن الرحيم. المستدرك (٢/ ٤١٢). حديث رقم: ٣٤٣٥.أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ) تح: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ط. الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠.

واستدل فقهاء الشافعية بهذا الحديث الشريف: " لَيْسَ الْمُعَاينُ كَالْمُخْبَرِ" في باب السلم[1]، وقالوا: إن السلعة المراد بيعها بصفة السلم، لا يكفي- على الأصح-وصفها، وإن بُولغ في الوصف، ووصل ذلك الوصف للمشتري بطريق التواتر المفيد للعلم الضروي، وعللوا ذلك بأن الملحظ في اشتراط الرؤية، الإحاطة بما لم تحط به العبارة، من أوصاف دقيقة، ووصولها للذهن. ثم ساقوا الحديث الشريف" لَيْسَ الْمُعَاينُ كَالْمُخْبَرِ" كدليل لما ذهبوا إليه[2].

هداية أصول التفسير المستنبطة من الحديث الشريف:

اطمأنت قلوب الصحابة ﷺ بما رأوه من أحوال النبي ﷺ، وكان حرصهم شديدًا على رؤية تلك الأحوال، خاصة فيما يتعلق بنزول الوحي؛ حتى كان يقول من لم يتفق له ذلك: " ليتني أرى رسول الله ﷺ حين ينزل عليه الوحي". وكان يُعين الصحابة بعضهم بعضًا، على تحقيق ذلك الرجاء، كما فعل عمر ﷺ ، مع يعلى بن أمية[3] ﷺ ،واقرأ -إن شئت-نص الحديث في

---

(1) **السلم: هو "أن يسلم عوضا حاضرا، في عوض موصوف في الذمة إلى أجل، ويسمى سلما، وسلفا" المغني لابن قدامة (٤/ ٢٠٧). أبو محمد موفق الدين بن قدامة المقدسي قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ). مكتبة القاهرة. بدون طبعة.**

(2) **انظر في ذلك تحفة المحتاج بشرح المنهاج (ص: ١٩). أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي. (ت: ٩٧٤ هـ) تح: عبد الله محمود عمر محمد. دار الكتب العلمية بيروت . لبنان.**

(3) **"يعلى بن أمية بن أبي عبيدة بن همام بن الحارث التميميّ الحنظليّ، حليف قريش. قال ابن سعد: شهد حنينا، والطّائف، وتبوك. وقال أبو أحمد الحاكم: كان عامل عمر على نجران". انظر الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٥٣٩) ترجمة رقم: ٩٣٧٩. أبو**

الحاشية[1]. فهذه السنة الإلهية، (**وهي كون أثر شهود الوقائع، ومعاينة الأحداث والمشاركة فيها، أقوى من سماعها على النفس البشرية**) تحققت في أجلى حالاتها في أصحاب النبي ﷺ ؛ فالصحابة الكرام إنما أخذوا هذا اللقب المبارك (الصحابة)؛ من صحبتهم للهادي البشير ﷺ ؛ ففي لقبهم سر فضلهم، وقيمة علمهم؛ فقد عايشوا زمن النبوة، مؤمنين بها، وماتوا على ذلك؛ فكانوا هم الربيون الذين قاتلوا مع النبي ﷺ ، وكانوا هم الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وكانوا أصحاب الوجوه الخاشعة من أثر السجود مع النبي ﷺ، وشاهدوا أثر نزول القرآن العظيم في شخص الرسول الكريم ﷺ.

ووجه آخر من الرؤية اتفق للصحابة ﷺ ولم يتفق لغيرهم؛ فهم كانوا جزءًا من مجتمع العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، وتعامل مع عاداتهم تحليًلا،

الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض. دار الكتب العلمية – بيروت. الأولى –١٤١٥ هـ.

(١) "عن عطاء، أن صفوان بن يعلى بن أمية، أخبره: أن يعلى كان يقول: ليتني أرى رسول الله ﷺ حين ينزل عليه، قال: فبينا النبي ﷺ بالجعرانة وعليه ثوب قد أظل به، معه فيه ناس من أصحابه، إذ جاءه أعرابي عليه جبة متضمخ بطيب، فقال: يا رسول الله، كيف ترى في رجل أحرم بعمرة في جبة بعدما تضمخ بالطيب؟ فأشار عمر إلى يعلى بيده: أن تعال، فجاء يعلى فأدخل رأسه، فإذا النبي ﷺ محمر الوجه، يغط كذلك ساعة، ثم سري عنه، فقال: «أين الذي يسألني عن العمرة آنفا» فالتمس الرجل فأتي به، فقال: «أما الطيب الذي بك فاغسله ثلاث مرات، وأما الجبة فانزعها، ثم اصنع في عمرتك كما تصنع في حجك". صحيح البخاري ك: المغازي. ب: غزوة الطائف. حديث رقم:٤٣٢٩. مرجع سابق.

وتحريمًا ونقدًا، وتقويمًا، ووصفًا، وفهمُ كثيرٍ من آيات القرآن الكريم متوقفٌ على فهم تلك العادات، وقد كان للصحابةﷺ من هذا فضلُ السبقِ الذي ليس له كفاء[1].

نتيجة:

لا عجب إذًا أن يكون تفسيرهمﷺ في الرتبة الثالثة، من حيث القيمة العلمية؛ بعد تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وإذا علمنا أن الجانب العملي من حياة الرسول ﷺ كان هو أوسع أبواب تفسير القرآن؛ تبيّن لنا أهمية تفسير الصحابة ﷺ ؛ فهم الذي صاحبوه ﷺ، وشاهدوا هديه المطبق لأوامر القرآن الكريم، ونواهيه ويُشير إلى ذلك ما أثر عنهم: ففي جواب أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها–لما سُئلت عن خلق النبي ﷺ قالت: (كان خلقه القرآن)[2]. عرفنا قيمة ما أشرقت به نفوسهم من حالة العيش في عصر النبوة. وفي قول جابر ﷺ في حديث حجة النبي ﷺ:"...ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، وعليه ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله،

---

[1] قال الإمام الشاطبي:" ...معرفة عادات العرب في أقوالها وأفعالها ومجاري أحوالها حالة التنزيل، وإن لم يكن ثم سبب خاص لا بد لمن أراد الخوض في علم القرآن منه، وإلا وقع في الشبه والإشكالات التي يتعذر الخروج منها إلا بهذه المعرفة " الموافقات (٤/ ١٥٤) مرجع سابق.

[2] "عن سعد بن هشام أنه سأل أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها–أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ، قالت: «ألست تقرأ القرآن؟» قلت: بلى، قالت: «فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن" صحيح مسلم ك: صلاة المسافرين وقصرها. ب: جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض. (١/ ٥١٢). حديث رقم: ٧٤٦.مرجع سابق.

وما عمل به من شيء عملنا به"[1]. تَحدُّثٌ بتلك النعمة وإبرازٌ لتلك الخصيصة التي لم تكن لسواهم. وفي قول جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ[2] فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا[3]. ما يكشف عن استشعاره نعمة نشأته في البيئة النبوية، وأثرها في فهم القرآن العظيم.

وما رواه أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأُبَيٍّ: " إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ} [البينة: ١] قَالَ: وَسَمَّانِي؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَبَكَى"[4].

---

[1] صحيح مسلم (٢/ ٨٨٧). كتاب: الحج. باب: حجة النبي ﷺ. حديث رقم ١٤٧. مرجع سابق.

[2] (حزاورة) " جمع الحزور، وهو الغلام إذا اشتد وقوي وحزم" انظر تعليق أ/ محمد فؤاد عبد الباقي على سنن ابن ماجه (١/ ٢٣) ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت: ٢٧٣هـ) تح: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية -فيصل عيسى البابي الحلبي.

[3] سنن ابن ماجه (١/ ٢١) ب: في الإيمان حديث رقم: ٦١. سابق مرجع.

[4] صحيح البخاري (٥/ ٣٦) ك: مناقب الأنصار ب: مناقب أبي بن كعب ﷺ. حديث رقم.٣٨٠٩. قال الإمام الطيبي: " في الحديث فوائد جمة أخرى: منها استحباب القراءة على الحذاق وأهل العلم به والفضل، وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه، ومنها المنقبة الشريفة لأبي، ولا نعلم أن أحداً شاركه فيها، ومنها منقبة اَخرى له بذكر الله تعالي إياه ونصه عليه، ومنها البكاء للسرور والفرح بما يبشر الإنسان به، وبما يعطاه من معالي الأمور". انظر الكاشف عن حقائق السنن (٥/ ١٦٨٤). شرف الدين الطيبي (٧٤٣هـ) تح: د. عبد الحميد هنداوي. مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة -الرياض). ط. الأولى، ١٤١٧ هـ -١٩٩٧ م.

قلت: ودموع سيد القراء (أبي) ﷺ هذه شاهدة على ما اختصهم الله به من فضل فأني لغير (أبي) ﷺسبب للبكاء مثل ما هذا!! إن العبارة لتضيق عن وصف ما جرى وما شعر به سيد القراء وما فاض به قلبه من نور وهداية في تلك اللحظة العجيبة الفريدة. وأختم هذا الباب بعبارة للعلامة ابن الوزير اليمني (ت ٨٤٠هـ) يقول فيها " أما مراتب المفسرين فخيرهم الصحابة ﷺ؛ لما ثبت من الثناء عليهم في الكتاب والسنة؛ ولأن القرآن أنزل على لغتهم فالغلط أبعد عنهم من غيرهم؛ ولأنهم سألوا رسول الله –صلى الله عليه وسلم وآله–عما أشكل عليهم"[1].

صفوة القول:

المنزلة التي تبوأها تفسير الصحابة –رضى الله عنهم–ناشئة عن حقائق تاريخية وخصائص اتخصوا بها لم تتوافر لمن بعدهم.

[1] إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات (ص: ١٤٦) مرجع سابق.

(١٤) باب: دليل أن أقوال الصحابة ﷺ فيما لا مجال للرأي فيه له مرفوع حكماً.

"عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُــعْبَةَ، قَالَ: لَمَّا قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَــأَلُونِي، فَقَالُوا: إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ يَا أُخْتَ هَارُونَ، وَمُوسَــى قَبْلَ عِيسَــى بِكَذَا وَكَذَا، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُــولِ اللهِ ﷺ سَــأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَــمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّــالِحِينَ قَبْلَهُمْ»[١]. وفي رواية الترمذي: ".... فَلَمْ أَدْرِ مَا أُجِيبُهُمْ. فَرَجَعْتُ إِلَى ﷺ وَسَلَّمَ -فَأَخْبَرْتُهُ..."[٢].

هداية أصول التفسير المستنبطة من الحديث الشريف:

أن الصحابي المغيرة بن شعبة ﷺ مع حاجته الملحة لجواب هذا السؤال التشكيكي من النصارى وبُعد مكانه عن المدينة (كان في اليمن) رجع إلى النبي ﷺ ليسأله؛ لأن ما سألوه عنه لا مجال للرأي والاجتهاد فيه؛ فجواب هذا السؤال يحتاج إلى معرفة غيب الماضي القائم على معرفة دقائق التاريخ التي لم تكن معلومة لهﷺ .؛ وعليه فما جاء موقوفاً على الصحابةﷺ مما لا مجال للرأي فيه، يأخذ حكم المرفوع للرسول ﷺ ؛ لأن الصحابة ﷺ كانوا لا يقتحمون هذا المجال بعقولهم بل يرجعون إلى النبي ﷺ؛ لذلك فقولهم فيه

---

[١] صحيح مسلم (٣/ ١٦٨٥). ك: الآداب. ب: النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء. حديث رقم: ٢١٣٥. مرجع سابق.

[٢] سنن الترمذي (٥/ ٣١٥). أبواب: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ب: وَمِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ حديث رقم: ٣١٥٥. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث ابن إدريس» مرجع سابق.

يأخذ حكم المرفوع، وإن لم يصرحوا براويتهم عنه ﷺ؛ فقرينة حالهم تؤدي إلى تلك النتيجة. ومما يشهد للاستنباط السابق أن الصحابة الكرام –كما يقول ابن الوزير (ت ٨٤٠هـ) –رحمه الله–كان من "عادتهم الإشعار بالرأي؛ كما ذكره أبو بكر ﷺ حين فسر الكلالة برأيه؛ فإذا جزموا بالتحريم، ونحوه كان دليلاً على رفعه. "[1].

قال الحافظ ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ): "مثال المرفوع من القول، حكماً لا تصريحاً: أن يقول الصحابي –الذي لم يأخذ عن الإسرائيليات–ما لا مجال للاجتهاد فيه، ولا له تعلق ببيان لغة أو شرح غريب، كالإخبار عن الأمور الماضية: من بدء الخلق، وأخبار الأنبياء، أو الآتية: كالملاحم، والفتن، وأحوال يوم القيامة، وكذا الإخبار عما يحصل بفعله ثواب مخصوص، أو عقاب مخصوص.

وإنما كان له حكم المرفوع؛ لأن إخباره بذلك يقتضي مخبراً له، وما لا مجال للاجتهاد فيه يقتضي موقفاً للقائل به، ولا موقف للصحابة إلا النبي صلى الله عليه وسلم، أو بعض من يخبر عن الكتب القديمة..."[2].

صفوة القول:

قول العلماء إن تفسير الصحابي فيما لا مجال للاجتهاد فيه مرفوع حكمًا يشهد لصحته أحوال الصحابة ومنهجهم العلمي وعدالتهم.

---

[1] إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات (ص: ١٥٣) باختصار. مرجع سابق.

[2] نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (ص: ٢٣٥). أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) تح: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي. مطبعة سفير بالرياض. ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(١٥) باب: هدي النبي ﷺ في التحذير من الاعتماد على ترجمات أهل الكتاب للتوراة والإنجيل.

"عن أبي هريرة ﷺ، قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: " لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا:﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦] الآيَةَ.[١]

من هدايات أصول التفسير المستنبطة من الحديث الشريف:

لم تكن التوراة تُرجمت إلى اللغة العربية في زمن النبوة الخاتمة[٢] – على صاحبها الصلاة والسلام–وكان اليهود يجمعون بين معرفة لغة التوراة، واللغة العربية؛ بحكم اختلاطهم بعرب المدينة؛ فكانوا يترجمون ما يعن لهم من نصوص التوراة إلى العربية، ويحدثون بهذه الترجمة المسلمين في المدينة، وقد ذكر القرآن الكريم بعضًا من مسلكهم في هذا الشأن، فقال – سبحانه وتعالى–: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ

---

[١] صحيح البخاري (٦/ ٢٠). ك: تَفْسِيرِ القُرْآنِ. ب:﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦] حديث رقم: ٤٤٨٥. مرجع سابق

[٢] جاء في موسوعة المعارف البريطانية:" لا توجد أي دلائل مؤكدة على وجود ترجمة للكتاب المقدس بالعربية قبل الإسلام. ولكن بعد وجود الكثير من اليهود والنصارى بين المسلمين تحت الحكم الإسلامي في القرن السابع، ظهرت الحاجة إلى وجود نسخ بالعربية. أول وأهم نسخة هي التي قام بترجمتها (سعادة بن يوسف) ٨٩٢ – ٩٤٢ ميلادية". موسوعة المعارف البريطانية. مقال رقم ٧٣١٩٨-article.

عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٥-٧٦]. فكان ما يحدثون به المسلمين من معاني التوراة يحتمل أحد أمرين:

الأول: أن يكون من القسم الذي لم يدخله التحريف؛ وهو بهذا مما يجب الإيمان به، وينطبق عليه ما جاء في الآية محل الاستشهاد النبوي في الحديث ﴿...وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾[آل عمران: ١٩٩].

الثاني: أن يكون من القسم الذي دخله التحريف؛ فيكون من الباطل الذي أدخلوه في التوراة، والإنجيل؛ وهذا يجب تكذيبه والكفر به قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩] فإذا لم يكن عند المسلم علم، يمكنه من التفرقة بين هذين النوعيين؛ فيجب عليه التوقف عن التصديق، أو التكذيب؛ فـ " هذا الحديث أصل في وجوب التوقف في كل مشكل من الأمور والمعلوم، فلا يقضى عليه بجواز ولا بطلان ولا بتحليل ولا تحريم، وقد أمرنا أن نؤمن بالكتب المنزلة على الأنبياء، إلا أن اليهود والنصارى حرَّفوا وبدَّلوا، ولا نعلم ما يأتون به صحيح أو محرف مبدل. فوجب التوقف عن تصديق ذلك وتكذيبه. "[1].

[1] التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٢/ ٤٥). ابن الملقن سراج الدين الشافعي المصري (ت: ٨٠٤هـ) تح: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث. دار النوادر، دمشق –سوريا. ط .الأولى، ١٤٢٩ هـ -٢٠٠٨ م.

وهناك قسمان آخران لا يدخلان في نطاق حكم هذا الحديث الشريف وهما:

الأول: ما علم كونه حقًا مما يوافق القرآن الكريم أو السنة الصحيحة؛ فهذا يُصدق –لا شك–ودليل صدقه؛ كونه وافق القرآن، أوالسنة.

الثاني: ما علم كونه باطلًا؛ مما يخالف القرآن، أو السنة الصحيحة؛ فهذا يُكذب؛ ودليل كذبه كونه خالف القرآن أو السنة. ومن أصول التفسير المستنبطة من هذا الحديث الشريف " التوقف عن الخوض في المشكلات والجزم فيها بما يقع في الظن"[1].

قلت: إذا كان أهل الكتاب غير مؤتمنين على ترجمة كتبهم–كما أفاد الحديث الشريف–؛ فكيف نأتمنهم على ترجمة معاني القرآن الكريم، أو بيان معانيه، كما يحاول الحداثيون أن يفعلوا؛ من خلال استبطان ترجمات المستشرقين للقرآن الكريم، ونقل مصطلحاتهم، ونظرياتهم إلى حقل التفسير والدراسات القرآنية !!

فائدة جليلة: من لطائف الاستنباط من هذا الحديث الشريف ما استنبطه العلامة محمد عبد الله دراز (ت ١٣٧٧هـ) من وجوب التحرز عن رد الأحاديث الصحيحة، بمجرد التشهي، والاستبعاد ويرى –رحمه الله–أن "ذلك هو أقل ما تقابل به الأخبار الصحيحة في كل أمر جائز الوقوع. بل هذا هو الأدب الذي أدبنا به رسول الله ﷺ بإزاء ما يبلغنا من أخبار أهل الكتاب عن كتبهم، حيث نهانا عن تكذيبهم، وقال: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ...﴾

[1] فتح الباري لابن حجر (٨/ ١٧٠) مرجع سابق.

[البقرة: ١٣٦] فإذا كانت هذه هي معاملتنا لرواية الكفار في الأمور المحتملة الصدق، فكيف برواية المسلمين العدول الثقات عن رسول الله ﷺ"[(١)].

صفوة القول:

ترجمة النصوص هي نوع من الشهادة، والتحمل، ونقل الأخبار ؛ والمترجم يجب أن يجمع بين العدالة والعلم باللغتين، المترجم منها والمترجم إليها والإحاطة بموضوع النص، ومن لا توافر فيه تلك الشروط؛ فترجمته محل شك؛ تُقرأ للنقد والتمحيص لا للاستشهاد بها أو الاعتماد عليها، وهذا كما ينطبق على ترجمات التوراة والإنجيل التي قام بها أهل الكتاب ينطبق أيضًا على ترجمات المستشرقين للقرآن الكريم فهي موضوع للنقد والتقويم لا للاقتباس والتصديق.

[(١)] **المختار من كنوز السنة ٣٣٠.مرجع سابق.**

(١٦) باب: جواز إقامة المفسر الحجة على اليهود والنصارى بما يعتقدون صحته من كتبهم.

"عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-: أن اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ برجل منهم وامرأة قد زنيا، فقال لهم: «كيف تفعلون بمن زنى منكم؟» قالوا: نُحَمِّمُهُمَا[١] ونضربهما، فقال: «لا تجدون في التوراة الرجم؟» فقالوا: لا نجد فيها شيئا، فقال لهم عبد الله بن سلام: كذبتم فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فوضع مِدْرَاسُهَا[٢] الذي يدرسها منهم كفه على آية الرجم فطفق يقرأ ما دون يده، وما وراءها ولا يقرأ آية الرجم، فنزع يده[٣] عن آية الرجم، فقال: ما هذه؟ فلما رأوا ذلك قالوا: هي آية الرجم، فأمر بهما فرجما قريبا من حيث موضع الجنائز عند المسجد، فرأيت صاحبها يحني عليها يقيها الحجارة"[٤].

---

[١] أي نسكب عليهما الماء الحميم وقيل نجعل في وجوههما الحمة بمهملة وميم خفيفة أي السواد. فتح الباري لابن حجر (٨/ ٢٢٤).

[٢] الذي يدرس كتبهم. انظر السابق نفسه.

[٣] أزاحها عن موضعها. انظر السابق نفسه.

[٤] صحيح البخاري (٦/ ٣٧). كتاب: تفسير القرآن. باب: {قل: فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين} [آل عمران: ٩٣] حديث رقم ٤٥٥٦ مرجع سابق.

من هدايات أصول التفسير المستنبطة من الحديث الشريف:

قال الإمام البقاعي (ت ٨٨٥ هـ)[١]: " عُلم من هذا أن الأحسن في باب النظر أن يُرد على الإنسان بما يعتقد صحته[٢] ...ومن المقرر عند حملة الشريعة من أهل الفقه والأصول أنه إنما يسوغ الرد على المخالف بالمتفق عليه. أي أن يكون ملتزمًا له، أو يقوم الدليل العقلي عليه؛ ولأجل ذلك أرشد سبحانه إليه، فإنه لو استدل عليهم بكتابنا ما افتضحوا عند غير المسلمين مثل هذه الفضيحة العامة عند كل ذي عقل، واقتدى بالنبي ﷺ في ذلك الصحابة ﷺ لاعتقادهم أن ذلك سنة، فاحتجوا عليهم بكتابهم فيما يؤيد ديننا، ويبين ضلالهم واقتدى بهم في ذلك التابعون لهم بإحسان إلى عصرنا " [٣].

قلت: وإنما يتأتى ذلك من المفسر الذي درس كتبهم، وعرف مداخلها ومخارجها؛ يشهد لذلك وجود الصحابي عبد الله بن سلام ﷺ في المشهد الذي رواه الحديث فهو الذي كشف خداع قارئ التوراة (مِدْرَاسُهَا) ونزع يده الآثمة عن آية الرجم ، وإنما تَأَتَّى لابن سلام ﷺ ذلك؛ لأنه كان قبل إسلامه

---

[١] إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي، أبو الحسن برهان الدين: مؤرخ أديب. أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق. له (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) انظر الأعلام للزركلي (١/ ٥٦) مرجع سابق.

[٢] إذا لم يخالف القرآن والسنة.

[٣] الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة. للإمام البقاعي ص ٥٠. ت د أحمد عبد الرحيم السايح / المستشار توفيق على وهبة. ط مكتبة جزيرة الورد. بدون تاريخ.

من أكابر علماء اليهود وأعلمهم بالتوراة[1]؛ فإذا كان المفسر على علم بالتوراة، والإنجيل نسخها، ومخطوطاتها وترجماتها وتاريخها ومعانيها؛ فإنه حينئذ يعرف ما يأخذ وما يدع وما يحسن الاستشهاد به، وما لا يحسن، أما إذا لم يكن كذلك؛ فالأسلم له ألا يقفو ما ليس له به علم. والله تعالى أعلم.

صفوة القول:

<u>دخول المفسر إلى مقارنة الأديان في أبحاثه التفسيرية يجب أن يقوم على تخصص دقيق وتوافر لأدوات البحث في هذا المجال مثله مثل سائر المجالات العلمية التي يتطرق إليها في تفسيريه.</u>

---

[1]روى البخاري قصة إسلامه وجاء فيها: ".... فلما جاء نبي الله ﷺ جاء عبد الله بن سلام فقال: أشهد أنك رسول الله، وأنك جئت بحق، وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم، وأعلمهم وابن أعلمهم، فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا في ما ليس في. فأرسل نبي الله ﷺ فأقبلوا فدخلوا عليه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «يا معشر اليهود، ويلكم، اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو، إنكم لتعلمون أني رسول الله حقا، وأني جئتكم بحق، فأسلموا»، قالوا: ما نعلمه، قالوا للنبي ﷺ، قالها ثلاث مرار، قال: «فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟» قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا، قال: «أفرأيتم إن أسلم؟»، قالوا: حاشى لله ما كان ليسلم، قال: «أفرأيتم إن أسلم؟» قالوا: حاشى لله ما كان ليسلم، قال: «أفرأيتم إن أسلم؟»، قالوا: حاشى لله ما كان ليسلم، قال: «يا ابن سلام اخرج عليهم»، فخرج فقال: يا معشر اليهود اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو، إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحق، فقالوا: كذبت، فأخرجهم رسول الله ﷺ. صحيح البخاري كتاب: مناقب الأنصار. باب: هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٥/ ٦٣) حديث رقم: ٣٩١١.مرجع سابق.

(١٧) باب: من منهج النبي ﷺ في تفسير القصص القرآني.

"قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ الْمُعَايِنُ كَالْمُخْبَرِ، أَخْبَرَ اللَّهُ مُوسَى أَنَّ قَوْمَهُ فُتِنُوا فَلَمْ يُلْقِ الْأَلْوَاحَ، فَلَمَّا رَآهُمْ أَلْقَى الْأَلْوَاحَ"[١].

من هدايات أصول التفسير المستنبطة من الحديث الشريف.

أولًا:

هداية نبوية للمفسر لدراسة البعد النفسي لأبطال القصص القرآني، وتأثيره في الأحداث؛ فهذه المقارنة النبوية الشريفة بين هذين الموقفين من موسى –عليه السلام–وتعليل الاختلاف بينهما بقوة تأثير رؤية العين على النفس أكثر من السماع وحده؛ تهدي إلى فائدة دراسة المفسر للبعد النفسي لأبطال القصص، وتأثره وتأثيره في أحداث القصة[٢].

---

[١] الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٤/ ٩٧) كتاب التاريخ. باب: بدء الخلق– ذكر السبب الذي من أجله ألقى موسى الألواح. مرجع سابق. وقال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم. رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي داود: سليمان بن داود الطيالسي، فمن رجال مسلم. أبو عوانة هو: الوضاح اليشكري. وأخرجه الحاكم في المستدرك. كتاب: التفسير. تفسير سورة طه بسم الله الرحمن الرحيم (٢/ ٤١٢) برقم: ٣٤٣٥ وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. مرجع سابق.

[٢] اهتم بهذا الجانب كثيرا الدكتور عبد الكريم الخطيب في كتابه التفسير القرآني للقرآن. كما خصصت أطروحة جامعية له عنوانها (سيكولوجية القصة في القرآن) أنجزها الدكتور التهامي نفرة. كما اهتم به كثيًرا الدكتور قاسم السامرائي في مؤلفاته عن

ثانياً: **هداية نبوية للمفسر؛ لاستنباط السنن عامة للنفس البشرية، من أحداث القصص القرآني؛ آية ذلك استنباطه ﷺ سنة نفسية عامة من خلال المقارنة بين موقفي موسى –عليه السلام–(لَيْسَ الْمُعَايِنُ كَالْمُخْبَرِ).**

ثالثاً: **هداية نبوية للمفسر؛ لدراسة القصة القرآنية، كوحدة واحدة، وجمع تفرق منها في السور القرآنية؛ آية ذلك أن موقفي السماع والرؤية، ورد كل منهما في سورة غير الأخرى: أما موقف السماع فقد ورد في قصة موسى –عليه السلام–في سورة طه قال تعالى:﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَامُوسَى ﴾ [طه: ٨٣]. وأما موقف الرؤية فقد ورد في قصة موسى –عليه السلام–في سورة الأعراف. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٠] وبجمع النبي ﷺ بينهما استنبط تلك السنة من سنن التأثر النفسي، (لَيْسَ الْمُعَايِنُ كَالْمُخْبَرِ).**

الإعجاز البياني في القرآن الكريم. ولكن لم أقف على من سبقني إلى الاستشهاد بهذا الحديث الشريف في التأصيل لهذا المنهج من البحث في تفسير القصص القرآني. وكما هو معلوم فإن مشروعية القاعدة لا تعني صواب التطبيق؛ فإن تطبيق البشر للقواعد الصحيحة اجتهاد منهم قابل للصواب والخطأ.

صفوة القول:

١.من أولويات عمل المفسر في تفسير القصص القرآن استنباط ما تحويه من سنن نفسية واجتماعية.

٢. تفسير القصص القرآني يجب أن يقوم على نهج موضوعي يجمع مواضع القصة المتفرقة في السور.

(١٨) باب: أن العلم بتاريخ الرسل-عليهم السلام- وأقوامهم من واجبات المفسر.

"عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: لَمَّا قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَأَلُونِي، فَقَالُوا: إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ﴿ يَاأُخْتَ هَارُونَ ﴾[مريم: ٢٨]، وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بِكَذَا وَكَذَا، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ"[(١)].

وجه الدلالة:

أن جواب سؤالهم كان متوقفاً على معرفة تاريخ بني إسرائيل، ومن هنا يُؤخذ أن دراسة مخطوطات التوراة والإنجيل من قِبل أهل الاختصاص في مقارنة الأديان واللغات القديمة من علماء المسلمين الثقات قد يُستنبط منه قرائن يُستشهد بها في كشف الشبهات، أو يتضح بها بعض وجوه جديدة من إعجاز القرآن الكريم.

مثال معاصر: ومن أبرز الأمثلة المعاصرة على هذا ما توصل إليه أحد خبراء اللغات القديمة، وهو الأستاذ (محمد رؤوف عبد الحميد أبو سعدة)[(٢)] فقد كشف عن وجه إعجازٍ جديد من خلال دراسته لمعاني الأعلام الأعجمية

---

(١) صحيح مسلم (٣/ ١٦٨٥). ك: الآداب. ب: النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء. حديث رقم ٢١٣٥ مرجع سابق.

(٢) كان -رحمه الله-يعمل خبيرًا في اليونيسكو، وله عشق في البحث، وتعلم اللغات القديمة من صغره، ولم أقف على ترجمة له. غير هذا.

الواردة في القرآن الكريم، في ضوء معانيها في لغاتها القديمة فهذا الوجه من الإعجاز القرآني كما يقول الأستاذ الطناحي(ت: ١٤١٩هـ)[١] في تقديمه الكتاب: " وجه قاطع بات، لا تصح فيه لجاجة ، ولا تسوغ معه مخالفة، لأنه قائم على قواعد اللغة، ومستند إلى أحكام التاريخ، وليس للهوى فيه حظ أو نصيب....وهو يقوم على أن القرآن، أيا كانت اللغة المشتق منها هذا الاسم الأعجمي العلم، وإن كانت لغة منقرضة يجهلها الخلق أجمعون عصر نزوله. وأسلوب القرآن في ذلك –كما يقول المؤلف – "المجانسة[٢] على الاسم العلم بما يفسر معناه أبين تفسير" ومثال ذلك ما ذكره في تفسير اسم " زكريا " – عليه السلام–: يقول ربنا عز وجل: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾ [مريم: ٢] ويقول المؤلف: زكريا في اللسان العبراني معناه حرفيا "ذاكر الله" ثم يدعوك المؤلف إلى أن تتأمل المجانسة بين قوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾ وبين "ذاكر الله" وكأنه عز وجل يقول – وهو أعلم بما يريد – ذكر الله ذاكر الله ، أو: ذكر الله فذكره الله ، أو ذكر الله فذكرته رحمة الله .وقد يأتي تفسير العلم العجمي في القرآن بذكر المرادف العربي لمعناه بغير العربي: ومن ذلك أن معنى " جبريل" في العبرية: الشديد القوي، وجاء التعبير

---

[١] محمود محمد الطناحي (٢٩ مارس ١٩٣٥ –٢٣ مارس ١٩٩٩) م (٢٤ ذي الحجة ١٣٥٣ هـ –٦ ذي الحجة ١٤١٩ هـ) كاتب ومحقق مصري. انظر كتاب محمود الطناحي...ذكرى لن تغيب، مجلد واحد يحوي جل ما كتبه عن العلامة الراحل زملاؤه وأصدقاؤه ومحبوه وعارفو فضله وتلامذته، أعده وقدم له الأستاذ محمد محمود الطناحي، دار المدني، القاهرة، ١٤٢٠هـ–.

[٢] الجناس: أن يتشابه اللفظان نطقا ويختلفا معنى. انظر علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني» (ص: ١١٤) المؤلف: الدكتور محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديب الناشر: المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس – لبنان الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م.

عنه في القرآن بذلك، قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ [النجم: ٥-٦]. والمرة بكسر الميم وتشديد الراء: بمعنى القوة أيضاً وكذلك قوله تعالى عن جبريل عليه السلام:﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢٠] [1].

صفوة القول:

<u>قصص القرآن من المحاور الأساسية في القرآن الكريم والمفسر يحتاج إلى أدوات وعلوم متخصصة للكشف عن هدايات وأسرار ذلك القصص منها علم التاريخ.</u>

[1] **انظر العلم الأعجمي في القرآن ١١/١. مرجع سابق.**

(١٩) باب أن المجاز[١] من أساليب لغة العرب، تكلم به النبي ﷺ.

عن أنس رضي الله عنه، قال: " كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، قال: وقد فزع أهل المدينة ليلة سمعوا صوتا، قال: فتلقاهم النبي ﷺ على فرس لأبي طلحة عري، وهو متقلد سيفه، فقال: «لم تراعوا، لم تراعوا»، ثم قال رسول الله ﷺ: "**وجدته بحرا**" يعني الفرس"[٢].

وجه الدلالة في الحديث:

أن قوله «وجدته بحرا» " أي: واسع الجري، يقال للفرس الذي لا ينقطع جريه: بحر؛ تشبيهاً له بالبحر الذي لا ينقطع ماؤه. وقيل: إنما شبهه بالبحر لأن البحر إذا كانت الريح طيبة يستريح مَنْ يركب فيه، فكذلك الفرس إذا كان جواداً غير شموس، يستريح راكبه ويسيره كما يشاء بلا تعب.[٣] فهو كناية عن سرعة السير و "هذا يدل على أنه يجوز أن يتكلم النبي ﷺ بالمجاز

---

[١] المجاز: اسم لما أريد به غير ما وضع له المناسبة بينهما، كتسمية الشجاع: أسدا، وهو مفعل بمعنى فاعل، من: جاز، إذا تعدى، كالمولى، بمعنى: الوالي؛ سمي به لأنه متعدٍّ من محل الحقيقة إلى محل المجاز، قوله: "لمناسبة بينهما" احترز به عما استعمل في غير ما وضع له لا لمناسبة؛ فإن ذلك لا يسمى مجازًا بل كان مرتجلًا أو خطأ ...انظر التعريفات (ص: ٢٠٢) مرجع سابق.

[٢] صحيح البخاري (٤/ ٦٦) ك: الجهاد والسير. ب: إذا فزعوا بالليل. حديث رقم ٣٠٤٠.مرجع سابق.

[٣] شرح المصابيح لابن الملك (٦/ ٢٣١). شرح مصابيح السنة للإمام البغوي المؤلف: محمَّدُ بنُ عزِّ الدِّينِ عبدِ اللطيف بنِ عبد العزيز بن أمين الدِّين بنِ فِرِشْتَا، الرُّوميُّ الكَرمانيّ، الحنفيُّ، المشهور بـ ابن المَلَك (ت: ٨٥٤ هـ) تح: لجنة مختصة من المحققين. إدارة الثقافة الإسلامية: الأولى، ١٤٣٣ هـ -٢٠١٢ م.

؛ لأنه شبه سرعة الفرس في جريه بالبحر وجريانه وهوله وعظمه فإذا ورد لفظ حمل على الحقيقة بإطلاقه، ولا يحمل على المجاز إلا بدليل، وقد لا يكون له مجاز ، فيحمل على ما وضع له وأما المجاز فحده: كل لفظ نقل عما وضع له وقد أنكر بعض الناس المجاز في اللغة ...واحتج بأن العدول عن الحقيقة إلى المجاز، إنما يكون للضرورة، والله تعالى لا يوصف بالحاجة والضرورة، فلا ينبغي أن يكون في كلامه مجاز وهذا غلط لأن المجاز لغة العرب وعادتها، فإنها تسمي الشيء باسم الشيء إذا كان مجاورا له، أو كان منه بسبب، وتحذف جزءا من الكلام طلبا للاختصار، إذا كان فيما أبقي دليل على ما ألقي، وتحذف المضاف وتقيم المضاف إليه مقامه وتعربه بإعرابه، وغير ذلك من أنواع المجاز، وإنما نزل القرآن بألفاظها ومذاهبها ولغاتها، وقد قال الله تعالى: ﴿...جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ... ﴾ [الكهف: ٧٧] ونحن نعلم ضرورة أن الجدار لا إرادة له..."[(١)].

يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) رحمه الله تعالى:

"ومن عادةِ قومٍ ممَّن يتعاطى التفسيرَ بغير علمٍ، أن يتوهَّموا أبداً في الألفاظ الموضوعةِ على المجاز والتمثيلِ، أنها على ظواهرِها، فيُفسدوا المعنى بذلك، ويُبطلوا الغرضَ، ويمنعوا أنفسَهم والسامعَ منهم العلمَ بموضع البلاغة، ومكان الشرف. وناهيكَ بهم إذا هم أخذوا في ذكرِ الوجوه، وجعَلوا يُكثرون

[(١)] الفقيه والمتفقه (١/ ٢١٤) الفقيه والمتفقه. أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ) تح: أبو عبد الرحمن الغرازي: دار ابن الجوزي –السعودية.

في غيرِ طائل، هناكَ تَرى ما شئتَ من بابٍ جهلٍ قد فتَحُوه، وزنْدِ ضلالةٍ قد قَدَحوا به، ونسألُ الله تعالى العصمة والتوفيق"[1].

صفوة القول:

القرآن نزل بلسان عربي مبين والمجاز أحد أساليب هذا اللسان في التعبير عن المعاني؛ استخدمه النبي –صلى الله عليه وسلم–فلا غرابة أن يكون المجاز أحد الأساليب اللغوية التي استخدمها القرآن الكريم.

[1] **دلائل الإعجاز (١/ ٣٠٥). أبو بكر عبد القاهر، الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) تح: محمود شاكر أبو فهر. مطبعة المدني بالقاهرة –دار المدني بجدة. الثالثة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.**

(٢٠) باب: أن ما جاء في القرآن الكريم من أمور الآخرة يُحمل على حقيقته.

"روى البخاري عن أنس بن مالك ﷺ:" أن رجلا قال: يا نبي الله يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة» قال قتادة: بلى وعزة ربنا"[١].

بيان المعنى:

أوضح الحافظ ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ) أن جواب النبي ﷺ ظاهر في تقرير أن مشي الكافر على وجهه يوم القيامة هو على حقيقته، وحكمة حشر الكافر على وجهه أنه عقاب على عدم سجوده لله في الدنيا بأن يُسْحب على وجهه يوم القيامة ليظهر هوانه بأن صار وجهه مكان يديه ورجليه في توقي المؤذيات[٢]

---

[١] صحيح البخاري (٦/ ١٠٩) ك: تفسير القرآن ب: قوله:﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٤] حديث رقم: ٤٧٦٠.

[٢] فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٨٢). أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني دار المعرفة –بيروت، ١٣٧٩ هـ. رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب. عليه تعليقات عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

وعن هذه الحكمة يقول الإمام ابن باديس[1] (ت: ١٣٥٩هـ) –رحمه الله–:"رفعوا وجوههم في الدنيا عن السجود لله، فأذل الله تلك الوجوه فمشوا عليها في المحشر. ورفعوا رؤوسهم كبراً عن الحق، فنكسها الله يوم القيامة. ومشوا في طريق النظر والاستدلال مشياً مقلوباً، فمشوا في الآخرة مشياً مقلوباً. فكان ما نالهم من سوء تلك الحال جزاء وفاقاً لما أتوا من قبح الأعمال، وما ربك بظلام للعبيد"[2].

استنباط:

من هذا الحديث يُستنبط أن ما يرد في القرآن والسنة من أخبار عن اليوم الآخر يُحمل على ظاهره، حتى لو كان غير عادة ما كان في الدنيا؛ لأن الأحوال الآخروية لا تقاس على الأحوال الدنيوية [3].

---

[1] "ابن باديس (١٣٠٥ –١٣٥٩ هـ = ١٨٨٧ –١٩٤٠ م) عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي ابن باديس: رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، من بدء قيامها سنة ١٩٣١ م، إلى وفاته. ولد في قسنطينة، وأتم دراسته في الزيتونة بتونس. وأصدر مجلة (الشهاب) علمية دينية أدبية، صدر منها في حياته نحو ١٥ مجلدا. وكان شديد الحملات على الاستعمار، وحاولت الحكومة الفرنسية في الجزائر إغراءه بتوليته رياسة الأمور الدينية فامتنع واضطهد وأوذي. وقاطعه إخوة له كانوا من الموظفين، وقاومه أبوه، وهو مستمر في جهاده. وأنشأت جمعية العلماء في عهد رياسته كثيرا من المدارس. وتوفي بقسنطينة في حياة والده. له (تفسير القرآن الكريم) اشتغل به تدريسا زهاء ١٤ عاما، ونشرت نبذ منه ثم جمع تفسيره لآيات من القرآن، باسم (مجلس التذكير –ط) ونشر في الجزائر (آثار ابن باديس) في ٤ مجلدات" الأعلام للزركلي (٣/ ٢٨٩).

[2] انظر تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (ص: ١٨٥).

[3] السابق نفسه.

(٢١) باب في دلالة الألفاظ المشتركة[١].

"عن عدي بن حاتم ﷺ، قال: لما نزلت:﴿ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ﴾ [البقرة: ١٨٧] قال له عدي بن حاتم: يا رسول الله، إني أجعل تحت وسادتي عقالين: عقالاً أبيض وعقالا أسود، أعرف الليل من النهار، فقال رسول الله ﷺ: **إن وسادتك لعريض، إنما هو سواد الليل، وبياض النهار**"[٢].

---

[١] المشترك: " حدَّه أهل الأصول بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة". المزهر في علوم اللغة وأنواعها ٣٦٩/١. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) تح: فؤاد علي منصور. دار الكتب العلمية – بيروت. الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

[٢] صحيح مسلم (٢/ ٧٦٦) ك: الصيام. ب: بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر، وأن له الأكل وغيره حتى يطلع الفجر، وبيان صفة الفجر الذي تتعلق به الأحكام من الدخول في الصوم، ودخول وقت صلاة الصبح وغير ذلك حديث رقم ١٠٩٠. (**إن وسادتك لعريض**) المراد بالوسادة هنا الوساد كما في الرواية الأخرى فعاد الوصف على المعنى لا على اللفظ وأما معنى الحديث فللعلماء فيه شروح أحسنها كلام القاضي عياض –رحمه الله تعالى– قال إنما أخذ العقالين وجعلهما تحت رأسه وتأول الآية به لكونه سبق إلى فهمه أن المراد بها هذا وكذا وقع لغيره ممن فعل فعله حتى نزل قوله تعالى من الفجر فعلموا أن المراد به بياض النهار وسواد الليل قال القاضي: معناه أن جعلت تحت وسادك الخيطين اللذين أرادهما الله تعالى وهما الليل والنهار فوسادك يعلوهما ويغطيهما وحينئذ يكون عريضا وهو معنى الرواية الأخرى في صحيح البخاري إنك لعريض القفا وهو معنى الرواية الأخرى إنك لضخم والوسادة هي المخدة وهي ما يجعل تحت الرأس عند النوم والوساد أعم فإنه يطلق على كل ما

الاستنباط:

قال القاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ) -رحمه الله-: " فيه وجوب التوقف عند الألفاظ المشتركة وطلب البيان فيها، وأنها لا تُحمل على أظهر وجوهها، وأكثر استعمالاتها إلا عند عدم البيان فيها، وقد كان البيان عتيداً بوجود النبي -عليه السلام -."[1].

و" المشترك: هو اللّفظ المستعمل في معنيين أو أكثر بأوضاع متعدّدة. كلفظ (القرء) في قوله تعالى:﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾[البقرة: ٢٢٨]، مشترك بين الطّهر والحيض، ولفظ (الملامسة) فقوله:﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ [النساء: ٤٣] ، مشترك بين الجماع واللّمس باليد. ...ولا يختلف العلماء في أنّ (المشترك) من قبيل (المجمل) يحتاج تعيين المراد به إلى دليل، وذلك إذا كان المعنيان أو المعاني متضادّة لا يمكن اجتماعها، أمّا إذا أمكن حمله على جميع معانيه فاختلفوا فيه على قولين: أوّلهما: قول الحنفيّة والحنابلة وبعض الشّافعيّة: أنّه (مجمل)، ولا يصحّ

يتوسد به]. انظر تعليق العلامة محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم (٢/ ٧٦٦) . مرجع سابق.

[1] إكمال المعلم بفوائد مسلم (٤/ ٢٥). عياض بن موسى بن عياض، أبو الفضل تح: يحْيَى إِسْمَاعِيل. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر. الأولى، ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م.

حمله على جميع معانيه؛ وهو أصحّ القولين. والثّاني: قول المالكيّة والشّافعيّ وجمهور أصحابه: يعمّ جميع معانيه"[1].

صفوة القول:

اللفظ المشترك الواحد قد يدل على معنيين، أو أكثر وقد يكون أحد هذه المعاني أظهر في الاستخدام من المعاني الأخرى، فلا يجوز المسارعة لاعتماد هذا المعنى الأظهر، بل يجب التوقف والبحث عن بيان مرجح لأحد معاني هذا اللفظ (المشترك) المجمل، فإن لم يوجد هذا البيان اعتمدنا المعنى الأظهر. والنظر في السياق هو من أهم عوامل بيان إجمال اللفظ المشترك.

[1] انظر المقدمات الأساسية في علوم القرآن (ص: ٤١٠). عبد الله بن يوسف. مركز البحوث الإسلامية ليدز – بريطانيا. ط. الأولى، ١٤٢٢ هـ -٢٠٠١ م.

(٢٢) باب جواز ترجمة تفسير القرآن لِلُّغات الأخرى

قال الإمام البخاري (ت: ٢٥٦هـ) -رحمه الله-: "باب: ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله، بالعربية وغيرها لقول الله تعالى:﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٣]. وقال ابن عباس: أخبرني أبو سفيان بن حرب: أن هرقل دعا ترجمانه، ثم دعا بكتاب النبي -صلى الله عليه وسلم-فقرأه: " بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد، عبد الله ورسوله، إلى هرقل، و:﴿ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ... ﴾ [آل عمران: ٦٤] "[(١)].

الاستنباط:

" وجه الدلالة من الآية الكريمة: أن التوراة بالعبرانية وقد أمر الله أن تتلى على العرب وهم لا يعرفون العبرانية ففيه الإذن في التعبير عنها بالعربية. ووجه الدلالة من الحديث الشريف أنه ﷺ كتب إلى هرقل باللسان العربي ولسان هرقل رومي ففيه إشعار بأنه اعتمد في إبلاغه ما في الكتاب على من يترجم عنه بلسان المبعوث إليه ليفهمه والمترجم المذكور هو

[(١)] صحيح البخاري كتاب: التوحيد باب: ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله، بالعربية وغيرها (٩/ ١٥٧) حديث رقم: ٧٥٤١.مرجع سابق.

الترجمان"[١]. وقال الإمام القسطلاني: (ت: ٩٢٣هـ) في شرح حديث: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم...)[٢] قال البيهقي: " فيه دليل على أن أهل الكتاب إن صدقوا ما فسروا من كتابهم بالعربية كان ذلك مما أنزل إليهم على طريق التعبير عما أنزل وكلام الله واحد لا يختلف باختلاف اللغات فبأي لسان قرئ فهو كلام الله ثم أسند عن مجاهد في قوله تعالى: {لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} [الأنعام: ١٩] يعني ومن أسلم من العجم وغيرهم. قال البيهقي: وقد لا يكون يعرف العربية فإذا بلغه معناه بلسانه فهو له نذير"[٣].

صفوة القول:

<u>الإسلام دين عالمي؛ والقرآن الكريم كتابه، ومن لوازم تلك العالمية ترجمة معانيه للغات الأخرى وفق ضوابط واضحة في المترجم والترجمة حتى تتحقق رسالته[٤].</u>

---

[١] إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١٠/ ٤٦٥) بتصرف. أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني. المطبعة الكبرى الأميرية، مصر السابعة، ١٣٢٣ هـ.

[٢] سبق تخريجه في باب: ١٥.

[٣] ا إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١٠/ ٤٦٦). مرجع سابق.

[٤] انظر حكم ترجمة القرآن تفصيلا في مناهل العرفان في علوم القرآن (٢/ ١٣١). محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: ١٣٦٧هـ) ط. عيسى البابي الحلبي وشركاه. الثالثة.

الخاتمة والنتائج

حمداً لله وصلاة وسلاماً على رسول الله ﷺ وبعد:

فمن خلال الاجتهاد في استنباط ما تيسر من أصول التفسير في السنة النبوية، أسفرت رحلة البحث عن اثنين وعشرين بابًا، اشتملت على أحاديث صحيحة، استنبط منها مسائل منوعة في علم أصول التفسير، وهي على ترتيبها في البحث جاءت على النحو التالي:

١. **قلوب المفسرين لها دور في فهم القرآن فهماً صحيحاً، فمفسري القرآن الكريم أحوج الناس إلى قلوب سليمة من الزيغ؛ والقرآن كما يخاطب العقل، فهو كتاب قلوب؛ وعلى قدر صفائها يتجلى نور القرآن فيها، وزيغ القلوب أوسع أبواب الدخيل في التفسير، ويُعرف زيغ القلوب باتباع المتشابه، وتظهر آثاره في الأقوال الشاذة في التفسير وما يترتب عليها من الفتن.**
٢. **سلامة قلوب الصحابة ﷺ من الزيغ بنص القرآن الكريم وهي تزكية تسمو بتفسيرهم إلى أعلى المنازل بعد تفسير النبي ﷺ.**
٣. **إذا كان المسلم الذي في قلبه زيغ إذا كتب أو تكلم في تفسير القرآن الكريم يُحذر منه بنص الحديث الشريف(فاحذروهم) وبمقتضى الآية الكريمة؛ فكيف بغير المسلمين من أمثال المستشرقين فالحذر منهم أولى.**

٤. **الآيات المحكمات هن أم الكتاب عليها تدور معانيه ويُرجع إليها في تفسيره ويرد إليها معاني الآيات المتشابهات.**

٥. **احترام التخصص؛ فالآية الكريمة لقبت من يُعتبر قوله في تفسير القرآن الكريم بالراسخين في العلم، وهو لقب يُشعر بالمدح والثقة، ولقبت من لا يُعتبر قوله في التفسير بالذين في قلوبهم زيغ، وهو لقب يُشعر بالذم والقبح؛ ولذا حذر منهم الرسول ﷺ (أولئك الذين سمى الله فاحذروهم).**

٦. **وجوب صيانة معاني القرآن الكريم من تأويل الجاهلين والوقوف أمام من يقوم بذلك ودفعه، وأن من يقوم بذلك فمقامه محمود كمقام علي ﷺ في وجه تأويل الخوارج فقد ذكره ﷺ في سياق المدح.**

٧. **أن قيام المتخصصين باستخلاص أصول التفسير وإقامة الأدلة عليها وتوعية الأمة بها من الجهاد العلمي الذي يحمي الأمة من الفتن والاقتتال.**

٨. **كان الصحابة يجتهدون في التفسير في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم.**

٩. **إقرار النبي ﷺ لمبدأ الاجتهاد في التفسير القائم على الفهم اللغوي وأن الخطأ فيه يصحح لكن يبقى باب الاجتهاد مفتوحًا من أهله وفي محله.**

١٠. لتفسير الصحابي الجليل عبد الله بن عباس منزلة خاصة بين تفاسير الصحابة مؤسسة على دعاء خاص من النبي-صلى الله عليه وسلم-.

١١. العلوم الإسلامية لها مصطلحاتها العربية التي تقلبت في صدور العلماء على مر العصور وتلاقحت حولها الأفكار وسُقيت من نبع القرآن والسنة وخشية العلماء وإخلاصهم وجرى تمحيصها ومدارستها في مجالس العلماء وبطون الكتب والشروح وحواشيها؛ فتلك العلوم وفي مقدمتها علم التفسير وعلوم القرآن وأصول التفسير ليست بحاجة لمصطلحات أعجمية وافدة نشأت وأسست في صدور رجال لا يؤمنون لا بقرآن ولا سنة ولا يحسنون فهم لغتهما ﴿...أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾ [البقرة: ٦١].

١٢. استخدام المصطلحات الغربية الوافدة في الدراسات القرآنية باعتبارها منطلقًا للبحث العلمي كمصطلحات المستشرقين والقراءة المعاصرة والحداثيين ذريعة لفتنة تُصرف بها الأمة عن معاني القرآن الكريم وتفتح بها أبواب التأويل الفاسد والتحريف المعنوي لمعاني القرآن الكريم وكل ما كان كذلك فلا شك حرمته.

١٣. تفسير القرآن بالقرآن أصل من أصول التفسير طبقه النبي ﷺ وأرشد إليه.

١٤. جواز اجتهاد الصحابة-رضي الله عنهم- في التفسير في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم.

١٥. **جواز الاجتهاد في التفسير إذا كان من أهله وفي محله.**

١٦. **علم التفسير علمٌ قائمٌ على الدليل فلا يُقبل فيه قول من غير دليل صحيح صريح.**

١٧. **التضلع في اللغة العربية لا يكفي وحده في الجزم بالمعاني المقصودة من المفردة القرآنية، بل لا بد من الوقوف على معهود القرآن في استعمالها والمعاني الشرعية التي عبرت عنها تلك الألفاظ.**

١٨. **تفسير القرآن بالقرآن إذا صدر من النبي ﷺ يكون جامعًا بين الحسنيين فهو تفسير للقرآن بالقرآن وهو تفسير نبوي؛ لأنه صادر منه ﷺ، فهو في أعلى المراتب.**

١٩. **السياق عنصر حاكم في فهم النص وقد أرشد النبي ﷺ إلى هذا الأصل من خلال تطبيقه التفسيري في الحديث الشريف.**

٢٠. **المراد بأن أفضل طرق تفسير القرآن هي تفسير القرآن بالقرآن المراد به المنهج أما المخرجات التطبيقية القائمة على هذا المنهج فهي مخرجات تأخذ حكم تفسير القائم بها؛ فتفسير القرآن بالقرآن إذا صدر عن النبي ﷺ فهو تفسير نبوي وإذا صدر عن الصحابي فهو تفسير صحابي وإذا صدر عن التابعي فهو تفسير تابعي وإذا صدر عن غير الصحابة والتابعين فهو من الاجتهاد في التفسير ولكل نوع مما سبق حكمه الخاص.**

٢١. **الأصل في آيات الأحكام أن النبي ﷺ بيّنها للصحابة – رضى الله عنهم–يُفهم هذا من صنيع عمر –رضي الله عنه–فلم يذكر ما أشكل عليه من أحكام القرآن سوى الكلالة.**

٢٢. **شهادة النبي ﷺ لعمر أنه من أهل الاستنباط ذلك أنه ﷺ أرشده إلى الآية محل استنباط ما يزيل ما أشكل عليه في أمر الكلالة، وهو توجيه لكل من هم من أهل الاستنباط أن يقوموا بواجبهم الكفائي في استنباط ما تحتاجه الأمة في شؤونها من القرآن الكريم.**

٢٣. **علم التفسير الموضوعي، وعلم المناسبات بين الآيات مؤسسين على أدلة قوية من حديث الرسول ﷺ.**

٢٤. **ترتيب كلمات القرآن أصل معتبر في استنباط المعاني والأحكام.**

٢٥. **الرجوع بقاعدة (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) إلى دليلها النقلي في الحديث الشريف؛ يقطع دابر من يشكك فيها؛ فهي لا تقوم على الدليل العقلي وحده، بل لها دليل نقلي، صحيح السند قطعي الدلالة، فضلًا عن مضمون القرآن الذي يؤكد من أوله إلى آخره أنه لأهل كل زمان ومكان. وهذا التأصيل يقتلع نظرية (تاريخية النص) الاستشراقية من جذورها تلك النظرية التي يحاولون بها جعل القرآن الكريم نصاً تاريخًيا خاصاً بزمان نزوله. فقاعدة (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) ليس لعلماء الأمة فيها إلا**

صياغتها بهذه العبارة المتينة أما معناها وحقيقتها فهي وحي إلهي خالص بلّغه من لا ينطق عن الهوى: (... بل هي للناس كافة)، (لمن عمل بها من أمتي).

٢٦. السورة القرآنية تقوم على نظام دقيق ترتبط فيه مقاطعها بمناسبات، وتفاوت مراتب المفسرين في الاهتداء لهذا النظام والكشف عن مناسبات تلك المقاطع لا يتعارض مع تلك الحقيقة ولا ينفي وجودها وبحث المفسرين عنها نوع من الاجتهاد تُطبق عليه شروط الاجتهاد في التفسير.

٢٧. ترتيب سور القرآن الكريم قائم على التوقيف والوحي وبحث المفسرين عن أسرار هذا الترتيب هو بحث عن حكمة الله الحكيم في هذا الترتيب وهو عمل اجتهادي من المفسرين تتفاوت فيه مراتبهم وتطبق عليه شروط الاجتهاد في التفسير.

٢٨. في الاسمين التوقيفيين لسورة الفاتحة؛ (الفاتحة – أم القرآن) فتح نبوي خاص للبحث عن التناسب بين سورة الفاتحة، وباقي سور القرآن الكريم جملة، وبين سورة الفاتحة وباقي سور القرآن سورة سورة، وفتح عام للبحث عن المناسبة بين كل سورة مفردة من سور القرآن الكريم، وبين باقي السور، والاجتهاد في كشف منزلتها في النظام العام لترتيب سور القرآن الكريم.

٢٩. **المنزلة التي تبوأها تفسير الصحابة –رضى الله عنهم– ناشئة عن حقائق تاريخية وخصائص اختصوا بها لم تتوافر لمن بعدهم.**

٣٠. **قول العلماء إن تفسير الصحابي فيما لا مجال للاجتهاد فيه مرفوع حكمًا يشهد لصحته أحوال الصحابةﷺ ومنهجهم العلمي وعدالتهم.**

٣١. **ترجمة النصوص هي نوع من الشهادة، والتحمل، ونقل الأخبار؛ والمترجم يجب أن يجمع بين العدالة والعلم باللغتين المترجم منها والمترجم إليها، والإحاطة بموضوع النص، ومن لا تتوافر فيه تلك الشروط؛ فترجمته محل شك؛ تُقرأ للنقد والتمحيص لا للاستشهاد بها أو الاعتماد عليها، وهذا كما ينطبق على ترجمات التوراة والإنجيل التي قام بها أهل الكتاب ينطبق أيضًا على ترجمات المستشرقين للقرآن الكريم فهي موضوع للنقد والتقويم لا للاقتباس والتصديق.**

٣٢. **دخول المفسر إلى مقارنة الأديان في أبحاثه التفسيرية يجب أن يقوم على تخصص دقيق وتوافر لأدوات البحث في هذا المجال مثله مثل سائر المجالات العلمية التي يتطرق إليها في تفسيريه.**

٣٣. من أولويات عمل المفسر في تفسير القصص القرآن استنباط ما تحويه من سنن نفسية واجتماعية اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم.

٣٤. تفسير القصص القرآني يجب أن يقوم على نهج موضوعي يجمع مواضع القصة المتفرقة في السور اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم.

٣٥. القصص من المحاور الأساسية في القرآن الكريم والمفسر يحتاج إلى أدوات وعلوم متخصصة للكشف عن هدايات وأسرار ذلك القصص منها علم التاريخ.

٣٦. القرآن نزل بلسان عربي مبين والمجاز أحد أساليب هذا اللسان في التعبير عن المعاني؛ استخدمه النبي –صلى الله عليه وسلم–فلا غرابة أن يكون المجاز أحد الأساليب اللغوية التي استخدمها القرآن الكريم.

٣٧. يجب فيما يرد من الأخبار عن اليوم الآخر أن يُحمل على ظاهره، ولو كان غير معتاد في الدنيا؛ لأن أحوال العالم الآخر لا تقاس على أحوال هذا العالم.

٣٨. اللفظ المشترك الواحد قد يدل على معنيين، أو أكثر وقد يكون أحد هذه المعاني أظهر في الاستخدام من المعاني الأخرى، فلا يجوز المسارعة لاعتماد هذا المعنى الأظهر، بل يجب التوقف والبحث عن بيانٍ مرجح لأحد معاني هذا اللفظ (المشترك) المجمل،

فإن لم يوجد هذا البيان اعتمدنا المعنى الأظهر. والنظر في السياق هو من أهم عوامل بيان إجمال اللفظ المشترك.

التوصيات: **الاهتمام بتأصيل مسائل علم أصول التفسير من السنة المطهرة، وجعلها منطلقاً ينطلق منه الدارسون لهذا العلم.**

والحمد لله رب العالمين

مراجع البحث[1]

١.الإتقان في علوم القرآن. عبد الرحمن، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ) ت: مركز الدراسات القرآنية: مجمع الملك فهد: السعودية ط: الأولى.

٢.الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان. محمد بن حبان أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت: ٧٣٩ هـ) ت: شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت: الأولى، ١٤٠٨ هـ -١٩٨٨ م.

٣.إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري. أحمد بن محمد القسطلاني. المطبعة الأميرية، مصر. ط. السابعة، ١٣٢٣ هـ.

٤.إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول. محمد بن علي الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ) تح: الشيخ أحمد عزو. دار الكتاب العربي. الأولى ١٤١٩هـ -١٩٩٩م.

٥.أسرار ترتيب القرآن، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

٦.الإصابة في تمييز الصحابة. أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض. دار الكتب العلمية – بيروت: الأولى -١٤١٥ هـ.

٧.أصول الفقه المسمى إجابة السائل شرح بغية الآمل. محمد بن إسماعيل الصنعاني، (ت: ١١٨٢هـ) ت: القاضي حسين بن

[1] مرتبة أبجديًا.

أحمد السياغي والدكتور حسن محمد مقبولي الأهدل: مؤسسة الرسالة –بيروت. الأولى، ١٩٨٦.

٨.إعراب القرآن وبيانه. محيي الدين درويش(ت:١٤٠٣هـ). دار الإرشاد للشئون الجامعية –حمص –سورية، (دار اليمامة – دمشق –بيروت)، الرابعة، ١٤١٥ هـ.

٩.إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١ هـ) تح: أبو عبيدة مشهو. دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ط. الأولى، ١٤٢٣ هـ.

١٠.الأعلام. خير الدين بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ). دار العلم للملايين. الخامسة عشر ٢٠٠٢ م.

١١.الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة. للإمام البقاعي. ت د أحمد عبد الرحيم السايح / المستشار توفيق على وهبة. ط مكتبة جزيرة الورد. بدون تاريخ.

١٢.إكمال المعلم بفوائد مسلم. عياض بن موسى اليحصبي السبتي تح: يحْيَى إِسْمَاعِيل. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر. ط. الأولى، ١٤١٩ هـ .١٩٩٨م.

١٣.الأم. عثمان بن شافع المطلبي القرشي المكي (ت: ٢٠٤هـ). دار المعرفة. بيروت. ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

١٤.إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات. ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين اليمني (ت: ٨٤٠هـ). دار الكتب العلمية –بيروت. ط. الثانية، ١٩٨٧م.

١٥. البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، رجاء وحيد دويدري، دار الفكر المعاصر. دمشق ط: الأولى ١٤٢١ – ٢٠٠٠.

١٦. البحث العلمي مناهجه وتقنياته: د. محمَّد زيان عمر، ط، جدة بالسعودية، ١٣٩٤هـ.

١٧. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ). الدار التونسية للنشر – تونس. ١٩٨٤هـ.

١٨. تحفة المحتاج بشرح المنهاج. أحمد بن حجر الهيتمي، (ت: ٩٧٤ هـ) تح: عبد الله محمود. دار الكتب العلمية بيروت .

١٩. التعريفات. علي بن محمد الجرجاني (ت: ٨١٦هـ). دار الكتب العلمية بيروت –لبنان. ط. الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

٢٠. تهذيب الآثار–مسند ابن عباس. محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) تح: محمود شاكر. مطبعة المدني. القاهرة.

٢١. التوضيح لشرح الجامع الصحيح. لابن الملقن سراج الدين (ت: ٨٠٤هـ). دار النوادر، دمشق. الأولى، ١٤٢٩ هـ .٢٠٠٨ م.

٢٢. جامع الأصول في أحاديث الرسول. مجد الدين الجزري ابن الأثير (ت:٦٠٦هـ) تح: عبد القادر الأرناؤوط. مكتبة الحلواني –مطبعة الملاح –مكتبة دار البيان.ط. الأولى.

٢٣. جامع البيان في تأويل القرآن. محمد بن جرير أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) تح: أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة.ط. الأولى، ١٤٢٠ هـ –٢٠٠٠ م.

٢٤.الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله – صلى الله عليه وسلم–وسننه وأيامه. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري. تح: محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة ط. الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٥.حاشية السندي على سنن النسائي. محمد بن عبد الهادي، نور الدين السندي (ت: ١١٣٨هـ) مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

٢٦.حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. أبو نعيم الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ). السعادة –مصر، ١٣٩٤هـ –١٩٧٤م.

٢٧.خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. محمد أمين الدمشقي (ت: ١١١١هـ). دار صادر – بيروت.

٢٨.دلائل الإعجاز. أبو بكر عبد القاهر، الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) تح: محمود محمد شاكر أبو فهر. مطبعة المدني بالقاهرة. دار المدني بجدة. الثالثة ١٤١٣هـ –١٩٩٢م.

٢٩.ديوان الإسلام. شمس الدين أبو المعالي بن الغزي (ت: ١١٦٧هـ) تح: سيد كسروي حسن.

٣٠.رسائل ابن حزم الأندلسي رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها. المحقق: إحسان عباس الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٣١.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. شهاب الدين محمود الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) تح: علي عبد الباري عطية. دار الكتب العلمية – بيروت. ط. الأولى، ١٤١٥ هـ.

٣٢.زهرة التفاسير. محمد بن أحمد، المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ). دار الفكر العربي.

٣٣.سبل السلام. محمد بن إسماعيل الصنعاني،(ت: ١١٨٢هـ). دار الحديث. بدون طبعة وبدون تاريخ.

٣٤.سنن ابن ماجة. ابن ماجة أبو عبد الله القزويني، (ت: ٢٧٣هـ) تح: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

٣٥.سنن أبي داود. أبو داود السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ) تح: شعَيب الأرناؤوط –محَمَّد كامِل قره بللي. دار الرسالة العالمية. ط. الأولى، ١٤٣٠ هـ –٢٠٠٩ م.

٣٦.سنن الترمذي. محمد بن عيسى الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ) تح: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥). شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر. ط الثانية، ١٣٩٥ هـ –١٩٧٥ م.

٣٧.سير أعلام النبلاء ط الحديث. شمس الدين أبو عبد الله الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) دار الحديث–القاهرة. ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.

٣٨.شرح المشكاة الكاشف عن حقائق السنن. شرف الدين الحسين الطيبي (ت:٧٤٣هـ) تح: د. عبد الحميد هنداوي. مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة –الرياض). الأولى، ١٤١٧ هـ –١٩٩٧ م.

٣٩.شرح كتاب سيبويه. أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت: ٣٦٨ هـ) تح: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط. الأولى، ٢٠٠٨ م.

٤٠.شرح مصابيح السنة للإمام البغوي. محمَّدُ بنُ عزِّ الدِّينِ الكَرمانيّ (ت: ٨٥٤ هـ) تح: نور الدين طالب. إدارة الثقافة الإسلامية. ط الأولى، ١٤٣٣ هـ -٢٠١٢ م.

٤١.طبقات الشافعية الكبرى. تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: ٧٧١هـ) تح: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو. دار هجر. الثانية، ١٤١٣هـ.

٤٢.طبقات الشافعيين. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤هـ) تح. أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب. مكتبة الثقافة الدينية تاريخ. ١٤١٣ هـ -١٩٩٣ م.

٤٣.طبقات النحويين واللغويين (سلسلة ذخائر العرب ٥٠). محمد بن الحسن الإشبيلي، أبو بكر (ت: ٣٧٩هـ) تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ط: الثانية. دار المعارف.

٤٤.عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي (ط العلمية). القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣ هـ). دار الكتب العلمية بيروت.

٤٥.علم أصول الفقه. عبد الوهاب خلاف (ت: ١٣٧٥هـ) مكتبة الدعوة -شباب الأزهر.

٤٦.العلم الأعجمي في القرآن الكريم. الأستاذ رؤوف أبو سعدة. طبع دار الهلال مصر بدون تاريخ.

٤٧. علوم البلاغة. البديع والبيان والمعاني. محمد أحمد قاسم، محيي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس – لبنان، الأولى، ٢٠٠٣ م.

٤٨. غريب الحديث للخطابي، أبو سليمان البستي المعروف بالخطابي (ت: ٣٨٨ هـ) تح: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي. خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي. دار الفكر – دمشق عام. ١٤٠٢ هـ -١٩٨٢ م.

٤٩. فتح القدير، الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب -دمشق، بيروت: الأولى -١٤١٤ هـ.

٥٠. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت: ٧٤٣ هـ) مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج القسم الدراسي: د. جميل بني عطا المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء. جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم. الأولى، ١٤٣٤ هـ -٢٠١٣ م.

٥١. الفصل في الملل والأهواء والنحل. أبو محمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ). مكتبة الخانجي – القاهرة.

٥٢. الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي الفقيه والمتفقه. أبو بكر أحمد مهدي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ) تح: أبو عبد الرحمن الغرازي. دار ابن الجوزي -السعودية.

٥٣. الفوز الكبير في أصول التفسير. الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ «ولي الله الدهلوي» (ت: ١١٧٦هـ). سلمان

الحسيني النَّدوي. دار الصحوة – القاهرة. ط. الثانية –١٤٠٧ هـ –١٩٨٦ م.

٥٤.قانون التأويل. القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المالكي (ت: ٥٤٣هـ) تح: محمّد السّليماني: دار القبلة للثقافة الإسلاميَّة، جَدّة، مؤسَسَة عُلوم القرآن، بيروت. الأولى، ١٤٠٦ هـ –١٩٨٦ م.

٥٥.قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر. أبو محمد الطيب بن عبد الله. الهِجراني (٨٧٠ –٩٤٧ هـ) عُني به: بو جمعة مكري / خالد زواري. دار المنهاج –جدة. الأولى، ١٤٢٨ هـ –٢٠٠٨ م.

٥٦.مباحث في التفسير الموضوعي. مصطفى مسلم. دار القلم. ١٤٢٦هـ –٢٠٠٥م.

٥٧.مجمع الزوائد ومنبع الفوائد أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ) تح: حسام الدين القدسي. مكتبة القدسي، القاهرة عام النشر.١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

٥٨.المحلى بالآثار. أبو محمد علي بن أحمد حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ) ط. دار الفكر – بيروت. بدون طبعة وبدون تاريخ.

٥٩.محمود الطناحي...ذكرى لن تغيب، مجلد واحد يحوي جل ما كتبه عن العلامة الراحل زملاؤه وأصدقاؤه ومحبوه وعارفو فضله وتلامذته، أعده وقدم له الأستاذ محمد محمود الطناحي، دار المدني، القاهرة، ١٤٢٠هـ–.

٦٠.المختار من كنوز السنة. د: محمد عبد الله دراز–رحمه الله–. ط مجمع البحوث الإسلامية.

٦١.مدخل إلى القرآن الكريم. – عرض تاريخي وتحليل مقارن –د: محمد عبد الله دراز. ترجمة محمد عبد العظيم. تقديم أ د السيد محمد بدوي طبع دار القلم بالكويت. الخامسة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٢م.

٦٢.مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود. أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٨٤٩ –٩١١ هـ) بعناية: محمد شايب شريف. دار ابن حزم، بيروت – لبنان. الأولى، ١٤٣٣ هـ –٢٠١٢ م.

٦٣.المسالك في شرح موطأ مالك. القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المالكي (ت: ٥٤٣هـ) قرأه وعلّق عليه: محمد بن الحسين السُّليماني وعائشة بنت الحسين السُّليماني: دَار الغَرب الإسلامي، الأولى، ١٤٢٨ هـ –٢٠٠٧ م.

٦٤.المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، ضياء الدين أبو عبد الله المقدسي (ت: ٦٤٣هـ) تح: الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. دار خضر، بيروت. الثالثة، ١٤٢٠ هـ –٢٠٠٠ م.

٦٥.المستدرك على الصحيحين. أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ) تح: مصطفى عبد القادر عطا: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠.

٦٦.مسند أحمد أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١ هـ) تح: مكتب البحوث بجمعية المكنز. جمعية المكنز الإسلامي. الأولى، ١٤٣١ هجرية، ٢٠١٠ م.

٦٧.المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (ت: ٢٦١هـ) تح: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٦٨.مصنف عبد الرزاق الصنعاني أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: ٢١١هـ) تح: حبيب الرحمن الأعظمي. المجلس العلمي–الهند. المكتب الإسلامي بيروت. الثانية، ١٤٠٣هـ.

٦٩.معجم اللغة العربية المعاصرة. د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ.

٧٠.المغني. أبو محمد موفق الدين ابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ). مكتبة القاهرة. بدون طبعة.

٧١.مقاييس اللغة. أحمد بن فارس الرازي (ت: ٣٩٥هـ). تح: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر. ١٣٩٩هـ –١٩٧٩م.

٧٢.المقدمات الأساسية في علوم القرآن. عبد الله بن يوسف الجديع العنزي. مركز البحوث الإسلامية ليدز – بريطانيا. الأولى، ١٤٢٢ هـ –٢٠٠١ م.

٧٣.الملل والنحل. أبو الفتح محمد الشهرستاني (ت: ٥٤٨ هـ) دار المعرفة –بيروت، ١٤٠٤هـ. تح: محمد سيد كيلاني.

٧٤.مناهل العرفان في علوم القرآن محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: ١٣٦٧هـ) مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. الثالثة.

٧٥.المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ). دار إحياء التراث العربي – بيروت. الثانية، ١٣٩٢هـ.

٧٦.منهج النقد في علوم الحديث. نور الدين عتر. دار الفكر، دمشق – سورية. الثالثة، ١٤٠١ هـ -١٩٨١ م.

٧٧.المنهل الحديث في شرح الحديث. موسى شاهين لاشين. دار المدار الإسلامي. الأولى، ٢٠٠٢ م.

٧٨.الموافقات. إبراهيم بن موسى الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ) تح: أبو عبيدة مشهور. دار ابن عفان. ط. الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٧٩.الموسوعة القرآنية المتخصصة. مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر.١٤٢٣ هـ -٢٠٠٢ م.

٨٠.موسوعة المعارف البريطانية مقال رقم article- ٧٣١٩٨.

٨١.الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. الندوة العالمية للشباب الإسلامي إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني. دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع. ط. الرابعة، ١٤٢٠ هـ.

٨٢.موطأ مالك. مالك بن أنس المدني (ت: ١٧٩هـ) تح. محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان. ١٤٠٦ هـ -١٩٨٥ م.

٨٣.نتائج الفكر في النحو. أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي (ت: ٥٨١هـ). دار الكتب العلمية – بيروت. الأولى. ١٤١٢ – ١٩٩٢ م.

٨٤. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر. أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) تح: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي. مطبعة سفير بالرياض. الأولى، ١٤٢٢هـ.

٨٥. النشر في القراءات العشر. شمس الدين ابن الجزري، (ت: ٨٣٣ هـ). تح: علي محمد الضباع (ت ١٣٨٠ هـ). المطبعة التجارية الكبرى.

٨٦. النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر" تأليف قطب الريسوني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المملكة المغربية الأولى ١٤٣١-٢٠٢٠.

٨٧. النكت على صحيح البخاري. أبو الفضل ابن حجر العسقلاني تح: أبو الوليد هشام بن علي السعيدني، أبو تميم نادر مصطفى محمود: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر. الأولى، ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥ م.

٨٨. الواضح في أصول الفقه. أبو الوفاء، علي بن عقيل البغدادي (ت: ٥١٣هـ) تح: عَبد الله بن عَبد المُحسن التركي. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.ط الأولى، ١٤٢٠ هـ -١٩٩٩ م.

فهرس

٣٤٥

مقدمة ٣٥١

(١) **باب: هدي النبي ﷺ في التحذير من المفسرين بالرأي المذموم**. ٣٦٣

أقسام القرآن باعتبار إمكانية التأويل: ٣٦٩

الصحابة الكرام ﷺ وبراءة قلوبهم من الزيغ: ٣٧٠

(٢) **باب هدي النبي ﷺ في التحذير من الأقوال الشاذة في تأويل القرآن التي تُوقع الفتن** ٣٧٢

(٣) **باب جواز التفسير بالرأي المحمود، والترغيب في الترقي في فهم القرآن الكريم** ٣٧٦

(٤) **باب: التحذير من استخدام المصطلحات والمناهج الدخيلة (مثل تلك التي صاغها المستشرقون و العلمانيون[٥] والحداثيون[٥]) في تفسير القرآن الكريم**. ٣٨٧

(٥) **باب: الهدي النبوي في تفسير القرآن بالقرآن** ٣٩٦

(٦) **باب: هدى النبي ﷺ في التفسير بالسياق**. ٤٠٢

(٧) **باب هدي النبي ﷺ في التفسير الموضوعي لآيات الأحكام**. ٤٠٥

(٨) **باب: هدي النبي ﷺ في أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب**. ٤١١

(٩) **باب: هدي النبي ﷺ في مراعاة ترتيب ألفاظ القرآن الكريم عند استنباط المعاني والأحكام**. ٤١٤

(١٠) **باب: مشروعية البحث عن المناسبات بين الآيات، وتقسيم المفسر السورة القرآنية إلى مقاطع موضوعية، والربط بينها**. ٤٢٠

(١١) **باب: مشروعية بحث المفسر عن المناسبات الخاصة بين السور المتجاورة**. ..٤٢٤

(١٢) **باب مشروعية البحث عن التناسب العام بين سورة مفردة، وبين باقي سور القرآن الكريم، وهو ما يمكن تسميته بـ (موقع السورة من النظام المجموعي لسور القرآن الكريم)**. ٤٢٧

(١٣) **باب: استنباط وجه اعتبار أقوال الصحابة ﷺ مصدراً في التفسير**. ٤٢٩

(١٤) **باب: دليل أن أقوال الصحابة فيما لا مجال للرأي فيه له مرفوع حكماً**. ...٤٣٥

(١٥) **باب: هدي النبي ﷺ في التحذير من الاعتماد على ترجمات أهل الكتاب للتوراة والإنجيل**. ٤٣٧

(١٦) **باب: جواز إقامة المفسر الحجة على اليهود والنصارى بما يعتقدون صحته** ٤٤١

(١٧) **باب: من منهج النبي ﷺ في تفسير القصص القرآني**. ٤٤٤

(١٨) **باب: أن العلم بتاريخ الرسل وأقوامهم من واجبات المفسر**. ٤٤٧

(١٩) **باب أن المجاز من أساليب لغة العرب، تكلم به النبي ﷺ**. ٤٥٠

(٢٠) **باب: أن ما جاء في القرآن الكريم من أمور الآخرة يُحمل على حقيقته**.....٤٥٣

(٢١) **باب في دلالة الألفاظ المشتركة**. ٤٥٥

(٢٢) **باب جواز ترجمة تفسير القرآن لِلُّغات الأخرى** ٤٥٨

الخاتمة والنتائج ٤٦٠

فهرس ٤٨١

تم بحمد الله وتوفيقه